

مسرحيات
مختارة



ورود حمراء من أجلي

تأليف : شون أو كيسي

ترجمة : محمد توفيق مصطفى

مراجعة : سعيد خطاب



الهيئة المصرية العامة للكتاب

• مسرعيان مختارة •

ورود حمراء من ايجالى

تأليف: شوت اوكيسى

ترجمة: محمد توفيق مصطفى

مراجعة: سعيد خطاب

مقدمة

لقد كانت الدراما الايرلندية حتى القرن التاسع عشر تعتبر جزءا من الدراما الانجليزية ، يسودها الانهيار الذى أصاب المسرح الانجليزى منذ بداية القرن السابع عشر ، مما أدى الى غلق أبواب المسرح الانجليزى فى الفترة من ١٦٤٢ الى ١٦٦٠ م .

وعندما فتحت المسارح أبوابها بعد ذلك لم يكن لهذا المسرح (المسرح الانجليزى) الثقل الدرامى الذى تمتع به خلال العهد الايزابيثى . وقد ذكرت الكاتبة « أليس فيرمور » فى كتابها عن الحركة الدرامية « ان نهضة المسرح الانجليزى فى عصر العودة لم تكن سوى نهضة مظهرية أكثر منها حقيقية ذلك لأنه قد أدخلت عوامل جديدة تحد من الكوميديا والدراما البطولية ، وأوجدت مسرحا من نوع خاص لا يحمل الحصب والشمول اللذين كانا يميزان الدراما من قبل عندما كانت الدراما فنا قوميا مثلما كانت فى أثينا » .

واذا كان الكاتب النرويجى «هنريك ابسن» عن طريق مسرحه وعالمه وتجديداته فى الشكل أو المضمون قد حقن المسرح الانجليزى بدم جديد عليه مما ترتب عليه أن اتجه

المسرح الانجليزى الى قضايا المجتمع مستخدما لغة النثر فى كتابة مسرحياته . . نجد أن المسرح الايرلندى يغذى المسرح الانجليزى بالدراما الشعاعية . واستطاع المسرح الايرلندى أن يعرض الحياة العادية بلغة المسرح الشعرى . وبدأ « ييتس » - عن طريق الجمعية الأدبية الايرلندية التى أنشأها فى لندن سنة ١٨٩١ ، ثم عن طريق الجمعية الأدبية القومية فى دبلن سنة ١٨٩٢ - يناضل من أجل إعادة الشعر الى المسرح بعد أن طردته الميلودراما والهزليات من المسرح خلال فترة الانهيار .

ولم يكن الشعر الموزون هو أساس المسرح الايرلندى فى تلك الفترة ، بل كانت الروح الشعاعية هى التى غلفت المسرحيات مما مكن الحركة الدرامية الايرلندية من أن تنقذ المسرح الانجليزى من الانهيار ، وكانت أعمال « شون أوكيسى » ضمن أعمال الكتاب الآخرين الذين قدموا تراثا انسانيا دائم التأثير .

وكما كان لدعوة ييتس أثر واضح فى تدعيم اتجاه كاتبنا شون أوكيسى نجد كذلك أن مساندة « ليدى جريجورى » له قد أثرت فيه تأثيرا مباشرا .

لقد كتب ييتس عن دعوته يقول « تهدف حركتنا الى الرجوع للناس ، والمسرحية التى تعطىهم متعة طبيعية يجب أن تصور لهم حياتهم الخاصة ، أو تلك الحياة الشعاعية التى يرى فيها كل انسان صورته حين تهرب الطبيعة

البشرية من جميع الظروف التعسفية ، فاذا أردت أن ترفع من مستوى رجل الشارع فعليك اذن أن تكتب عن الشارع أو عن الشخصيات الخيالية أو عن شخصيات التاريخ العظيمة » .

ودأبت « ليدى جريجورى » على تشجيع أوكيسى وحثه على أن يكتب عن سكان الأزقة والأحياء الشعبية ، حيث كانت تدرك أن أوكيسى يعرف هؤلاء الناس عن قرب ذلك لأنه عاش صغره في أحد المساكن الشعبية في دبلن وأنه مارس أقصى الأعمال وأكثرها مشقة : فمن كناس في الشارع وعامل بالميناء تكونت خبرته الأولى بهذا العالم الذى نشأ فيه .

وفى ظل هذه الظروف الشخصية كانت ليدى جريجورى تعتقد أن أوكيسى قد يفعل شيئاً هاماً للمسرح ، الايرلندى .

الا أنه على الجانب الآخر فان الأدب يعكس الظروف السياسية والاجتماعية التى عاصرها . وقد عاصر أوكيسى الفترة التى كان فيها وطنه يئن من الحكم البريطانى ووجد زعيم وطنه « بارنل » يموت مستشهدا بالخيانة فينضم الى صفوف العمال وينادى معهم برفع مستوى الطبقة العاملة وانتشالها من بؤسها ويشترك معهم فى جميع مظاهر الاحتجاج العمالية من أجل حياة أفضل ، وظل يتقدم فى العمل السياسى حتى أصبح سكرتيراً « لجيش

المواطن الايرلندى « الذى تكون لحماية العمال المضربين من الشرطة » .

ثم حدث أن تكون « جيش المتطوعين الايرلنديين » وقامت منافسة بينه وبين « جيش المواطن الايرلندى » وانتهى الأمر بأن استقال شون أوكيسى وترك العمل السياسى ليتخذ من المسرح طريقا لتحقيق ما يريد .

ثم بدأ أوكيسى يكتب وينشر انتاجه مثل « أغاني النسر » وقصة « توماس » وقصة « جيش المواطن الايرلندى » الا أنه كان دائما مشدودا الى المسرح فكتب محاولات مسرحية منها « زهرة فى الصقيع » و « عيد الحصاد » و « اللون القرمزى » و « العلم المثلث الألوان » ولكنها باءت بالفشل ولم تحظ بأى نجاح .

الا أنه فى عام ١٩٢٣ - وكان أوكيسى قد بلغ الثالثة والأربعين من عمره - رفعت ستائر مسرح الآبى عن مسرحيته « خيال مقاتل » وأجمعت آراء النقاد على ظهور نجم جديد فى سماء المسرح يتمتع بالاحساس اللغوى المرهف والنظرة الثاقبة فى فهم الشخصيات والقدرة الشاملة الراسخة فى تناول المادة المسرحية .

وبعد هذا النجاح الذى نالته مسرحيته « خيال مقاتل » كتب مسرحيته المشهورة « جونو والطاووس » التى استمر عرضها على مسرح الآبى مدة طويلة أمام هذا الاقبال الكبير الذى لم يتعوده المسرح من قبل .

والواقع أن أوكيسى قد جعل من الثورة الايرلندية مادة خصبة يستقى منها مسرحياته وجعل منها خلفيته التى يضع أمامها تشكيلاته الدرامية الأساسية ، تلك التشكيلات التى تفسر عمق نظرتة واتساعها والخروج من النظرة الايرلندية المحلية الى مناقشة الشرور العامة للمدنية كلها .

ان الدين والوطنية والجنس من الأمور التى تحتاج الى حيلة كبيرة فى معالجتها ولكن أوكيسى بسـخريته وتهكمه يكشف فى مسرحيته « المحراث والنجوم » عن أعماق النفوس التى تغطى حقيقتها الطنطنة والتشدد بالحرية . فهو يعرى احدى شخصياته التى استهوته أوهام البطولة ويقول : « لو أننى ظللت فترة أطول راقدا فلربما كنت لم أصب بسوء ، لقد هرب كل انسان ، ولكنى شعرت بأن بطنى تتمزق ولم أستطع أن أصرخ ، هل تظن أننى جرحت جرحا بالغا ، ثيابى تبدو مبتلة جدا ، انه دم يا الهى ، لا بد أنه دمي أنا » .

ان أوكيسى فى مسرحيته هذه يؤكد أن كل انسان ميسر لما خلق له ، ولا ينبغى له أن يتعلق بأوهام ليس أهلا لها ، والا جلب الدمار لنفسه ولغيره .

وعلى هذا المنوال وبهذا النسيج الساخر يواصل أوكيسى كشفه لتلك الأنماط البشرية التى تخفى حقيقتها، ولا يستثنى رجال الدين من حملته ، فهو يكشف عن رجل الدين الذى يتمسح فى دينه ليخفى ضعفه وجبنه وسلبيته .

الا أنه بعد عرض المسرحية وأمام التيارات العنيفة القاسية التي قوبلت بها لم يكن أمامه الا أن يرحل عن هذا الجو الخانق فيغادر إيرلندا حاملا معه قلمه ليقضى بقية حياته فى انجلترا حيث توفى سنة ١٩٦٤ .

واذا كان أوكيسى قد عالج فى مسرحياته قضايا هامة على المستوى السياسى والاجتماعى الا أن استخداة للسخرية والفكاهة كان دائما يخفف الجانب المأسوى الذى تفرضه طبيعة الموضوع ، وهو بهذا المزج بين الكوميديا والمأساة انما يعكس صورة الحياة الحديثة التى اتسمت بها الدراما الحديثة التى ألغيت النظرة الواحدة المألوفة للطبيعة الانسانية فى كونها ملهاة أو مأساة .

لقد وضع أوكيسى فى مسرحياته عددا كبيرا من السكارى والجبناء والمهرجين وغيرهم الى جانب الأبطال وذلك لاذكاء روح الكوميديا فى أعماله .

كما أنه لم يترك عنصرا من عناصر الفكاهة الا واستخدمه فى بناء مسرحياته . والذى نريد أن نؤكدده هو أن فكاهة أوكيسى لم تكن عاطلة من عمل العقل ، فهو لا يضحك ولا يسخر من عيب خلقى فى أشخاص ، وانما يسخر من أوضاع درسيها ومارسيها واستخدم أسلوبه الفكاهى بقصد تغييرها .

ومسرحية « ورود حمراء من أجلى » تعتبر قطعة من الخيال الرائع البهيج ذات حوار شاعرى رفيع واحساس

مرهف مركز بالأسى . كما تمتاز بروح التهكم والفكاهة فى
اطار متداخل شامل . ورغم بروز شخصية ايامون فان
نظرة الكاتب تعلق عن الفرد بحيث يعلق بالأذهان التأثير
الشامل والصورة الجامعة لشقاء العاطلين وبائعات الزهور .
والبحث الصامت فى الأعماق فى مشهد المقبرة التهكمى
وكذلك الجو الفلسفى الذى يحيط بالموضوع بأكمله .

وربما يكون من العبث ايراد موجز عن المسرحية فى
هذه المقدمة المختصرة ، ذلك لأن المسرحية كاللوحة تماما
لا يمكن تلخيصها أو وصفها بغير ما هى عليه بعناصرها
وأسلوب بنائها وقيمتها اللونية وإيقاعاتها وفراغانها
ولا يمكن أبدا أن تحدث أثرها الحقيقى بدون تعايش تام
بينها وبين المتذوق أو الرأى .

ولهذا نكتفى بالإشارة الى أن هذه المسرحية يمكن
اعتبارها من الدراميات التاريخية ، وأنه وان كان بطلها
يموت فى النهاية ، إلا أن موته لا يذهب هباء ، ذلك لأن
موته يؤثر على الآخرين ويشحذ هممهم ويدفعهم الى المقاومة
والنضال .

فلم يكن ايامون مخلصا فى قدراته وكفايته . لقد
ضحى بفنه وبأغانيه كما ضحى بحبه لشيلا من أجل
القضية الهامة التى ارتبط بها . لقد ناضل من أجل تحقيق
فرديته من خلال تحقيق وجود المجموع . لقد جابه تحديات

كثيرة حتى من حبيبته شيلا التي اقتربت روحه منها والتي
كانت تمثل العالم البرجوازي بأفكاره ومثله .

لقد مات ايامون ليجدد الايمان بتقدم الانسان على
الأرض الأمر الذي يوفر له حق الاحترام في الحياة .

وبعد ، فأرجو لك أيها القارئ العزيز معايشة ممتعة
كاملة مع مسرحية « ورود حمراء من أجلى » .

محمد سعيد خطاب

ورود حمراء من أجل
تأليف : شون أوكيسي

ترجمة : محمد توفيق مصطفى

هذه ترجمة مسرحية

RED ROSES FOR ME
by
SEAN O'CASEY

شخصيات المسرحية

Mrs. Breydon	مسر برايڊون
Ayamon Breydon	أيامون برايڊون (ابنها)
Eeda	ايدا
Dympna	ديمنا (جارات مسر برايڊون في المنزل)
Finnoola	فينولا
Sheila Moorneen	شيللا مورنين (خطيبة أيامون)
Brennan O'The Moor	برينان مور (صاحب بضعة منازل قديمة)
A Singer	المغنى (شاب ذو صوت جميل)
Roory O'Balacaun	رورى بالاكون (وطنى ايرلندى متحمس)
Mulcanny	مالكانى (ساخر من المقدسات)
Rev. E. Clinton	أ . كلينتون (قسيس كنيسة سانت برنابا)
Samuel	صامويل (شماس الكنيسة)
Inspector Finglas	المفتش فينجلاس (من خيالة البوليس)

1st Man	الرجل الأول
2nd Man	الرجل الثانى (جيران منزل برايدون)
3rd Man	الرجل الثالث
Dowzard	دوزارد (عضوان فى كنيسة سانت برنابا)
Foster	فoster
A Lamp lighter	مشعل مصابيح الشوارع
1st Railwayman	عامل السكة الحديد الأول
2nd Railwayman	عامل السكة الحديد الثانى

المنظر

الفصل الأول : مسكن أسرة برايدون المكون من حجرتين .

الفصل الثانى : نفس المنظر

الفصل الثالث : أحد شوارع مدينة دبلن بجانب جسر على نهر ليفى .

الفصل الرابع : جزء من الفناء المحيط بكنيسة سانت برنابا البروتستانتية .

فى خلال هذا الفصل يسدل الستار لبضع دقائق للدلالة على مرور بضع ساعات .

الوقت :

منذ فترة قصيرة ماضية .

الفصل الأول

الحجرة الأمامية من حجرتين متداعيتين؛ في أحد أحياء العمال الفقيرة . الجدران كانت مدهونة باللون الأبيض الذى يتحول الى الاصفرار . . الباب الرئيسى المؤدى الى البهو فى الخلف ناحية اليمين قليلا . . المدفأة فى الحائط الأيمن . نار متوهجة تشتعل فى الموقد الواسع العتيق الطراز . . فى وسط الحجرة منضدة قديمة بلون الأبنوس عليها مصباح زيت بفتيل واحد وقد اتسخت زجاجته قليلا بفعل الزيت الرديء المستعمل فيه . . على المنضدة كذلك بضعة كتب وورق وطباشير ملون وقلم وزجاجة حبر صغيرة . . فى الحائط الأيسر قرب المؤخرة يوجد الباب المؤدى الى الحجرة الثانية . . على هذا الباب من ناحية المقدمة أريكة من شعر الخيل عليها آثار البلى . . فى طرفها كومة من الملاءات والبطاطين مطبقة بعناية تدل على أنها تستخدم كسرين فى الليل . . على يسار الباب الرئيسى فى المؤخرة سلة كبيرة مما يستعمله المثلون الجوالون . . على الجانب الآخر من هذا الباب خزانة مطبخ عادية على مسطحها الأوسط بعض أدوات المائدة لأن الرف العلوى يشغله صف من الكتب يبدو من مظهرها أنها اشترت مستعملة . . فوق السلة على الحائط علقت صورة بألوان

الباسنييل الزاهية منقولة عن لوحة فرانجليكو التي تمثل ملكا ينفخ في بوق ذهبي معقوف ، وبجانبيها صورة صغيرة ملونة منقولة عن لوحة « حقل الخطيئة » للمصور كونستابل . . في نفس الحائط ناحية الخلف يوجد شباك كبير يصل الى السقف تقريبا ، وعند ما يقترب الناظر منه يشاهد قمة « سيمافور » سكة حديدية بها ذراع متحرك يكشف النور الأحمر أو الأخضر . . تحت هذا الشباك على مفعد خشن توجد ثلاث علب من الصفيح زرعت في الأولى منها شجرة جيرانيوم (زهرة الحبيزي) وفي الثانية شجرة مسك وفي الثالثة شجرة فوخسيا (فخشاء) .

تبدو زهور الجيرانيوم كبيرة الحجم مشرقة ، وزهور المسك الذهبية الأنبوبية عريضة بريقة رابية ؛ أما كئوس الفخشاء الأرجوانية وحولها وريقاتها البيضاء الشمعية الطويلة فتبدو كبيرة في حجم زهور الأرم . . وهذه الزهور القرمزية والذهبية والأرجوانية تخلع لوئا بهيجا على الغرفة الفقيرة . تسمع كل حين على البعد صفارة قطار تتبعها أصوات انطلاق البخار الصادرة عن قطار يجر حملا ثقيلًا من عربات البضاعة . . في الحجرة كرسى أو كرسيان .

الوقت قبيل مساء أحد أيام منتصف الربيع ، وقد زاد من ظلمة المغرب تلبد السماء بالغيوم وسقوط المطر بغزارة على المدينة .

عندما يرتفع الستار نرى أيامون وأمه فى
الحجرة ٠٠ وهو طويل قوى البنية فى الثانية
والعشرين تقريبا ، عسلى العينين أصفر الشعر
مجعده ولكنه مرجل جيدا ، ويذكر وجهه من
يتأمله بكلب جميل ثابت الجنان مفكر سمح
الطبع ٠٠ أما أمه فتناهر الخمسين ،
سمرأوية الوجه ، عسلية العينين فيهما لمعة
جميلة ، تبدو على خديها وحاجبيها علامات
الكفاح والعمل الشاق ٠٠ ترتدى جاكيت
سوداء ضيقة فيها عدة رقع مصنوعة بمهارة ،
وفستانا أزرق غامقا حائل اللون قليلا ٠٠
وحذاء سميك النعل • تغطى ملابسها الآن
عباءة من القطيفة الزرقاء مطرزة بشريط فضى
٠٠ وهى تجلس على كرسى مطبخ مغطى بقطعة
خلقة من القماش الأحمر الغامق •

أيامون يرتدى صديرية من الحرير الأخضر
الزاهى فوقها عباءة قرمزية بلون أكمام فى
طرفها فرو أبيض ٠٠ والجزء الخلفى من
العباءة سميك بحيث يكون سناما كبيرا بين
كتفيه ٠٠ وحول صدره نجاد يتلى منه غمد
وفى يده سيف مقبضه على شكل صليب ٠٠
على رأسه قبعة سوداء من اللباد ذات طرف
ضيق مثنى ، حولها شريط أسود ، ثبتت فيها

ريشة قرمزية • • وهو يلبس سراويل ثقيلة
سوداء من القطيفة المضلعة ، وفي قلميه حذاء
ثقيل بمسامير في نعله • وهى وهو فى حالة
اصغاء شديد •

مسز برايدون : (هامسة الى أيامون) انصرفت • أظن
أنها كانت تريد اقتراض شيء آخر • انى أعتقد ان
سكن هذا البيت مصابون بحمى الاقتراض !!
أيامون : لعنة الله عليها من حمقاء متعبة • أين كنت عندما
سمعنا الطرق ؟

مسز برايدون : كنت على وشك أن تقول :

نعم ، ولمزيد من القتل بعد هذا

اغفر لى اللهم خطاياى واعف عني •

أيامون : (ناظرا الى الأرض) أوه نعم (يلقي)
ماذا ؟ هل يغوص دم لانكستر الملهم فى التراب ؟
كنت أحسبه سيصعد •

(يرفع السيف ويتأمله)

• أنظر كيف يبكى سيفى لموت الملك المسكين •

ألا فلتنهمر مثل هذه الدموع دوما

• لأولئك الذين يريدون لأسرتنا السقوط •

واذا كانت قد بقيت حتى الآن أية شرارة من الحياة

(يخبط الأرض بقدمه) فلتسقط الى الجحيم

قائلة اننى أرسلتها الى هناك .

(تسمع دقة على الباب . يتصلب أيامون ومسز

برایدون مصغيين فى صمت . يسمع صوت رقيق

مخشوشن بحكم السن يتكلم فى الخارج) .

الصوت : ألا يوجد أحد فى الداخل أو الخارج أو غيرهما ؟

(طرقات أعلى على حين يتحرك أيامون متلصصا حتى

يسند ظهره الى الباب) اه . . من هناك فى الداخل

.. أ هناك شخص يتحرك ، أم أن الكوخ العتيق

خال ؟

مسز براينون : (هامسة) برينان مور العجوز . جاء هنا

اليوم من قبل . لقد جمع ايجار بيوته القديمة ويريد

أن يقال له مرة أخرى ان بنك ايرلندا مكان أمين

لايداعه .

أيامون : (محذرا) اش . . . ش . . . ش !

الصوت : ما من مجيب ، آه ؟ مع أنى رأيت نورا فى

النافذة . . لعلهم خرجوا . . أرجو ذلك لمصلحتهم

الخاصة ، فليس من الشرف فى شئ تجاهل نداء

الجار .

(يسمع صوت اقدام تبتعد فى الخارج يتلوه

لحظات صمت)

مسز برايدون : لقد ذهب . ان حيويته تزداد قليلا يوم أن يجمع ايجاراته . . لا أدري كيف يستطيع رجل له مثل ماله أن يستمر في سكنى حجرتين في بيت وشارع لا يفضلان مسكننا هذا الا بقليل . .

لم يكن الا نقاشا ولاصقا للورق يموت جوعا ليدخر، ويستعمل دهاءه ليشترى بضعة بيوت عتيقة يعطيها مسحة من الطلاء ثم يفرض أعلى ايجار نظير عناء السكنى فيها !

أيامون : أرجو أن يبتعد بنفسه وبمشاكله عني الآن فأمامي أشياء أسمى أفكر فيها وأعمال أؤديها ، أولى من أن أرتبط بآلام عجوز مخرف يخشى أبد الدهر أن تنتزع منه قبضة من النقود . ومع هذا فهو ليس شحيحا، لأنه يعطى اللعب للصبية في عيد الميلاد ولا يضع أبدا في طبق جمع التبرعات أقل من نصف جنيه كل يوم أحد في الكنيسة .

مسز برايدون : لا يضيره أن يفعل هذا .

أيامون : ماذا قال حين كان هنا من قبل ؟

مسز برايدون : أوه . . الموضوع المعتاد . . سؤالي عن رأيي في بنك ايرلندا ، والزمجرة عن شخص لم يسدد الايجار ، وأن يوم ميلاده يحل غدا .

أيامون : (ناظرا الى الكرسي) لابد أن أستعير كرسيًا
ذا ذراعين وأجد بأي طريقة من يطلّيهما باللون
الذهبي لإخراج الأمر على الوجه الصحيح في قاعة
التمبرانس . وسأرسم لوحة توضع على ظهره تتضمن
تصويرا خفيا لبیت لانكستر والوردة الحمراء ، حتى
يبدو وكأنه مقعد ملكي .

مسز برايلون : يجب العناية بإخراج مشهد قتل دوق
جلوسستر للملك ، ويجب أن يحاط العمل كله
بالفخامة .

أيامون : هذا ما سيحدث . كل ما في الأمر أنهم خائفون
من شكسبير بسبب كل ما قيل عنه . يعتقدون أنه
فوق مستواهم مع أنه ، في كل ما كتب ، بضعة
من روح الله الكامنة في طبيعة كل انسان . . لأجعله
نديما لهم في الحانات قبل أن أموت .

مسز برايلون : لا أدري هل من المناسب عرضه مع حفلة
غنائية .

أيامون : لابد أن يجيء مناسبا ، بشرط ألا يبدو الملك
هنري كثير اللغو ينشر الهواء بيديه ويمزق عواطفه
أربا . . لقد رأى ذلك المجنون شخصا يؤدي الدور
على هذا النحو، وهو يظن أنه مصيب ولا بد . (يتنهد)
لست أجزؤ على تسميع دوري الآن لأن العجوز برينان
مور ينتظر ويسترق السمع من مكان ما . ولذا

سأكتفى بنرديده غيبا • هل قال كم سيبلغ من
العمر غدا ؟

مسز برايدون : ستة وسبعين فقط على حسب قوله • ومع
هذا يبدو وكأنه يتطلع الى عيد ميلاده الحادى
والعشرين •

أيامون : مهما يكن ، لن يطول به الانتظار •

مسز برايدون : (متخابثة) كان يهمهم كذلك عن لحن
عزفه على البيانو القديم الذى فى منزله •

أيامون : (يقفز من مقعده) انها احدى مقطوعاتى وقد لحنها
(يندفع خارجا من الحجرة ثم يعود بعد لحظات)
ليس هناك • أظن أنه ذهب الى بيته • (متضايقا)
كنت أود أن تخبرينى بهذا من أول الأمر •

مسز برايدون : أرى أن تحاول أن تستريح قليلا يا أيامون
قبل أن تذهب للعمل •

انك تسرف فى إرهاق نفسك • نمت أقل من ساعتين
اليوم وأمامك عمل ليل طويل • رسم وقراءة وتأليف
أغان وحفظ شكسبير ، ولو كان لديك بيانو لكنت
تحاول تعلم الموسيقى • لماذا لا تنصرف الى شيء واحد
وتترك ما عداه ؟

أيامون : كل هذه الأشياء رائعة ، وحياتى تحتاجها جميعا •

مسز برايدون : لقد استطعت أنا أن أحيا حياة طيبة بدونها (تذهب الى الشباك وتلمس زهور الفخساء برقة) ثم هناك هذا الاضراب التعيس الذى يوشك أن ينزل على رؤوسنا .

ايامون : (جالسا على الكرسي ذى الغطاء الأحمر يقرأ شيكسبير - بهدوء وثقة) لن يحدث اضراب . أصحاب الأعمال لن يدخلوا فى صراع . سيوافقون على علاوة الشلن كل أسبوع المطلوبة .

مسز برايدون : (وهى تلمس زهور المسك) أظن أن هذه الحفلة الغنائية تقام لجمع بعض المال ؟

ايامون : (بضيق) هذا صحيح ، هذا صحيح . ولكن فى حالة حدوث الاضراب فقط . ليس لى فيه شأن كبير على أى حال . اجتمعت مع الرجال وخطبت فى أحد الاجتماعات محبذا الطلب ، وهذا كل ما فى الأمر .

مسز برايدون : ستحطم صحتك بكل هذا الذى تفعله . انك تبدد البقية الباقية من وقتك فى الجرى وراء .. (تراجع نفسها فتسكت) .

ايامون : (يضع الكتاب على حجره - بغضب) استمرى .. أكمل ما بدأت قوله : الجرى وراء من ؟

مسز برايدون : لا أحد . لا أحد .

أيامون : الجرى وراء شيلا مورنين . . هذا ما كان فى نيتك أن تقولىه ، أليس كذلك ؟

مسز برايدون : وإذا كان هذا صحيحا . . أصدر قانون جديد يمنع الناس من أن يفكروا فى أفكارهم الخاصة ؟

أيامون : (بحدة) ماذا لديك ضد الفتاة ؟

مسز برايدون : لاشئ . كفتاة ، أقرر أنها « شـال » حريرى جميل الألوان بين مجموعة من « شـيلان » الفطن . كفتاة ، أقرر أنها تستطيع أن تبرز من وراء أسوار الشجر الظليلة على حين ينزوى غيرها ، وأن ترفع رأسها حين تبلغ وسط الطريق لتتلقى النور الكاشف الذى يجلوها للناظرين ومع هذا . . (تتوقف عن الكلام مرة اخرى)

أيامون : نعم . . ومع هذا ماذا ؟ ان لك طريقة تبعث على الجنون فى عدم أكمال بعض عباراتك .

مسز برايدون : (وقد قررت المجازفة) أنها تدين بالمذهب الرومى الكاثوليكي . بل انها غارقة فيه بما درجت عليه من عدم التسامح على الاطلاق مع من يجرؤ على مناقشة ما ينطق به البابا .

أيامون : ومن ذا الذى يريد مناقشة ما ينطق به البابا ؟ ان الحياة بكل ما فيها من تغيرات ، ماضية فى

أختبار كل شيء • حتى أقوال البابا • أتظنين اننى
جاهدت ، ومازلت أجاهد ، فى سبيل تزويد نفسى
بشيء من سـمو قرائح الاقدمين ، لمجرد أن أغرق
نفسى فى تسليم سلبى بما يقوله البابا ؟ دعى الفتاة
تعتقد بما تشاء وتقدس ما تشاء ، فهو تفكيرها الخاص
بعقلها الخاص • انه ليكفينى كل الكفاية أن تكون
صبيحة الوجه حلوة الحديث عزيزة الصحبة ؛ ولو
كانت من عباد مامبوجامبو وأقامت صنما فى حديقة
البيت •

مسز برايدون : ما زال هناك ما هو ألعن من هذا •

أيامون : أهنالك ما هو ألعن ؟ وماذا عسى أن يكون هذا ؟

مسز برايدون : انها ابنة جاويش فى الشرطة الملكية
الاييرلندية • أليست كذلك ؟

أيامون : لا يد لها فى هذا • اليس كذلك ؟

مسز برايدون : أعرف هذا • ولكن الكثيرين تدمروا من أن
ابنا لى يصاحب ابنة رجل يقف فى صفوف عدوهم •

أيامون : يبدو أن كل شيء ضدها فيما عدا شخصها • أن
أحب شخصها لا عقيدتها ، وأريد شخصها لا أباه •

مسز برايدون : أن القسم الأكبر من أهل ايرلندا يقول ان
علاقة الرجل بالفتاة يجب أن تنظمها عقيدته وعقيدتها

والقسم الآخر يحكم عليها بالطريقة التي يكسب بها
أبوها عيشه .

أيامون : فلتشاطرهم الدنيا كلها رأيهم ! انها جميلة ،
وأذنها الصغيرة مستعدة لأن تسمع كل ما أريد
قوله ، ولذا فلو كانت ابنة الظلام نفسه لأخذت
بيدها وبرزت بها وأريتها لكل الناس .

مسز برايدون : لن يبقى لها كثير من الجمال بعد أن تسلك
معك طريق الفقر عاما ويوما .

أيامون : انها لا تقدر الذهب ، كما أن قلبها العطوف
لا يحن الى الحرير والأطلس من الصين واليابان أو
جزر التوابل في شرق آسيا . ان « شالا » وقورا
أسود على كتفها ، و « جونيلة » بسيطة ، وقدمين
حافيتين ، لن تستطيع أغراءها على التطلع الى ماتصبو
اليه النساء الغيورات .

مسز برايدون : آه . . يالك من مغفل عظيم يا أيامون .
دعني أقل لك ان قلوب كل الفتيات السويات
تشتعل بأحلام الأشياء الجميلة . وأزيد على هذا أن
السيف الذي يجلس على خاصرة المفتش فنجلاس ،
والريشة الحمراء المعلقة بخوذته الرهيبة ، والفضة
الثلجية التي تلتصق على بزته ، هي لمعة خاطفة من
النور بين عينيها المعذبتي بسراب الأمانى وبين كل
ما يمكن أن تراه فيك .

أيامون : قولى لى شيئا آخر يضاعف أملى •

مسز برايدون : استمر فى قراءتك ، ولا تضايق نفسك
بالاصغاء الى أمك •

أيامون : (يذهب فيضع يديه برفق على كتفيها) انى مصغ ،
ولكننى أنأى عنك يا أمى • فأنا الآن شبيح مبهم فى
شراع من ذهب أسبح فى أفق بعيد •

مسز برايدون : (بحشرجة فى صوتها) لقد قاسيت وفعلت
الكثير من أجلك يا أيامون يا ولدى فى أيام حياتى بعد
أن عجل الموت العبوس بأبيك الى الآخرة •

أيامون : أنا الذى أعرف هذا حق المعرفة • عندما كانت
الدنيا ظلاما كنت تحملين الشمس الى فى يدك على
الدوام وعندما فضلت لى أن أموت جوعا على أن
أغالب الموت فى أحد الملاجئ ، قدمت لى الحياة لعبة
ألهو بها كما تقدم الكرة الملونة الى الطفل من أبناء
الموسرين • (يرفع وجهها برفق بوضع يده تحت
ذقنها) هذا الوجه ، الوجه العزيز الذى كان ناعما
يوما ما قد تغضن الآن • وهاتان العينان اللتان
مازالتا سمرأوين ، واللتان كانتا براقتين يوما ما •
قد أعشاهما الآن التطلع القلق الى المستقبل ، والظهر
القوى الذى ظل منتصبا ، قد بدأ ينحنى • ورقصة
طالت بها التجربة وصبغها الجمال بلون البرنز ،
تنتظر ريح شتاء بعيدة تفصلها عن الشجرة •

مسز برايلون : (تزيح يده عن ذقنها بلطف) مازالت قبضتي محكمة • وما زال ظهري قنّداً على النهوض بالأعباء الثقال • وعيناي اللتان أظلمتا الآن عما كانتا من قبل مازالتا قادرتين على الرؤية بالقدر الكافى •• من الخير أن أخلق هذا الروب المزخرف لكيلا يبعث فى أخيلة الفخار •

(تخلع الروب وتطبقه بعناية وتضعه على السلة ثم تذهب فتصلح نار المدفأة • ينظر ايامون من النافذة وهو يفكر ثم يخلع العباءة والسيف والقبعة ، ويضعها بعناية فوق السلة) •

أيامون : (شارد الفكر) ما أظنه سيجىء الليسلة فى هذا المطر • واذا جاء فسأجعله يقرأ دور الملك وأعيد أنا دورى مرة ثانية •

مسز برايلون : من الذى سيجىء الليلة ؟

أيامون : ملكانى • انه يفتش فى كل دبلن عن كتاب يريد اعطائه لى ، ولو عثر عليه فالمفروض أن يحضره لى الليلة •• « لغز الكون » •

مسز برايلون : وهذا شخص آخر لا أحب أن أراه كثيراً ، لأن كل جيرتنا هبوا يشرعون أسلحتهم فى وجه استهزائه الطائش بالعقائد وسخريته من جميع المقدسات •

اِيَامُون : أوه ؛ ان تيم لا عيب فيه ، غير أن الناس أشد حساسية من أن يحملوا ما يقول على محمل الخير ، واللهب الاسود يبدو واضحا في عالم زاهي الالوان .

هسز برايډون : أنت لا تعرفهم أذ تقول هذا . سيصيبه السوء يوما ما اذا لم يبق فمه مقفلا .

اِيَامُون : كلام فارغ .

هسز برايډون : ر لفت نفسها بهدوء في شال . تتحرك نحو الباب في صمت تام كأنها تريد أن تمنع ايامون من ملاحظة حركاتها ، ولكن الباب يفتح فتظهر ايدا وديمبنا وفينولا وبضعة رجال . تدخل النسوة الثلاث قليلا في الحجرة ويبقى الرجال عند الباب . وجوههم جامدة كالأقنعة تعلوها مسحة من الاستسلام الصامت . وتبدو فيها علائم الفقر وقسوة الحياة . وجه ايدا وجه امرأة عجوز ، ووجه ديمبنا وجه امرأة في منتصف العمر ، أما وجه فينولا فهو وجه شابة . ويبدو اختلاف السن على كل منهن باختلاف التجاعيد غير أن كلا منهن لها نفس النظرة الخرساء الى الحياة .

تحمل ديمبنا بين يديها تمثالا للسيدة العذراء يزيد طوله على قدمين ، كان فيها مضي آية في نقاء بياضه والتماع زرقته وحلاوة تذهيبه غير أن الالوان قد حالت ، وانمحي الذهبي فيما عدا بقعة او بقعتين خابيتين بقيتا على

التاج • وهذا التاج بدلا من ان يكون كرويا
فانه مدبب كبرج المدينة ، يشبه أبراج دبلن .
ووجه التمثال الشاحب قد أصابه نصيب محزن
من رنائة حال البيت • يرتدى الرجال ملابس
سمراء خلفه وترتدى النسوة ثيابا رمادية
حائلة ، وفي رداء كل من الجميع رفعة حائلة
اللون زرقاء أو حمراء أو خضراء أو أرجوانية) .

أيذا : (لمسز برايدون) هلا جدت ياعزيزتى مسز برايدون
بقليل من صابونك لنغسل تمثال العذراء المباركة ؟
(تخاطب الجميع) ولو أننى فلت مرارا ان الغسل هو
الذى ذهب بزرقة الثوب الجميلة وبذهب أطرافه
الوضاء وبمعظم جلال التاج • أن أورشولا الصغيرة
التي تسكن تحت ، تدخر من فائض نقودها لتشتري
لها ثوبا أزرق جديدا ، وتكلفهم بارجاع الذهب الى
جلاله ، مع أن كل شئ تحصل عليه تحتاجه لطعامها
ودفئها • ولكننا ما علمنا قط أن سيدتنا العذراء
تعارض فى بيع تاجها وثوبها الأزرق لتسد حاجة
شعبها • (مسز برايدون تقدم نصف علبة من بودرة
الصابون وهى شاكرة) أشكرك ياسيدتى ومع أنك
تدينين بمذهب مغاير فان السيدة العذراء ستباركك
أنت وابنك الجميل لهذا العطاء الذى قدمته تكريما
لها ولظهرها أمام العالم •

الباقون : (يهممون) نعم ستبارككما • هذا أمر مؤكد •

(يخلون طريقا لايدا لتخرج مع ديمينا حاملة

التمثال التى تتبعها فى شبه موكب بسيط .

تتحرك مسز برايدون ببطء فى اثرهم)

أيامون : (وقد لاحظها من طرف عينه) من المؤكد انك لست

خارجة مرة أخرى . . خصوصا فى ليلة كهذه .

مسز برايدون : لست خارجة بالمعنى الصحيح . سأذهب

فقط الى بيت مسز كاشمور فى آخر الحارة ، انها

معتلة ، وقد وعدت أن أمر عليها لأعد لها شرابا

ساخنا أو شيئا ما قبل أن تنام .

أيامون : (متضايقا) أنت تهتمين ببيوت الغير أكثر مما

تهتمين ببيتك !! فى كل ليلة من ليالى الاسبوع الماضى

خرجت لمهمة حمقاء من هذا النوع كما لو كنت واحدة

من راهبات الاحسان .

مسز برايدون : ليس فى امكانى أن أجلس مطمئنة وأنا

أعلم أن المرأة المسكينة فى حاجة الى . سأظل طول

الليل أسمع صوتها تشكو من أننى لم أذهب لأعد

لها شرابا ساخنا وأمهد فراشها وأستوثق من سلامتها

خلال الساعات الموحشة فى ليل بظى الحركة .

أيامون : سيفعلون الكثير لك اذا حدث واحتجت لمعونتهم .

مسز برايدون : وأنى لنا أن نعرف . ان الانسان لا ينبغى

أن يفكر فى هذا لأن مثل هذا الاعتقاد سوف يفسد

ويعرى كل شيء نفعه خارج نطاق منفعتنا الخاصة .
ولا ضرر في أن نستخدم ساعة من فراغ في مساعدة
ذی حاجة .

ایامون : وأن تهلكی نفسك فی هذا السبیل ؟

مسز برايدون : (وهی تتنهد) سأهلك يوما ما على أى حال
والجسد المتعب البالى يستطيع على الأقل أن يذهب الى
راحته الابدیة دون أى تبریر .

(تفتح الباب لتخرج فتظهر شيلا على العتبة .وهی
فتاة تناهز الثالثة والعشرين ، طويلة القامة
نوعا ، جميلة الفوام ، عليها مظاهر القوة التى
لاتخلو أبدا من الرشاقة . ذات عينين واسعتين
عسليتين تظللها كل آن وآخر سحابة من
الخوف . فمها واسع نوعا ولكنه حلو التكوين .
شعرها بنى طويل ولو انها تجمعها الآن فى
لفة سمیكة تتدل على قفاها . ترتدى «بدلة
تفصیل» من التويد البنى وبلوزة من اللون
البنى الذهبى وقبعة زرقاء زاهية . وعليها
معطف ماكينتوش بلله المطر . وبیدها مظلة
طبقت بسرعة ومازالت تقطر ماء على ارض
العجرة . تدخل على استیحاء . من الواضح
انها شاعرة بوجود مسز برايدون ولكنها تقاوم
استیحاءها بالتظاهر بالمرح والخفة . تحاول
مسز برايدون أن تخفى بعض الجفاء فى
تحياتها)

شيلا : أود . . . مساء الخير يامسز برايدون ، يالها من
ليلة . أوشكت الريح أن تمزقنى اربا . . ثم المطر . .
أود الريح والجو !!

مسز برايدون : لا بد أنك قد هلكت . اخلعنى معطفك
وتعالى الى المدفأة . كلفى أيامون أن يعد لك فنجانا
من الشاي ويعيدك الى الحياة .

شيلا : لا . الواقع اننى أحترق . . . فمصارعة الريح
والمطر بعثت فى الدفء والنشاط .

أيامون : نعم . نعم . . . الريح والمطر . . . ففيما يختص
بالمطر انها تمطر كل يوم . . اجلسى لترفعى الحمل
عن ساقيك .

شيلا : المسألة لا تستحق لأننى لن أستطيع البقاء طويلا .
(لمسز برايدون) أخارجة فى مثل هذه الليلة يا مسز
برايدون ؟

أيامون : (بسرعة) لابد أن تذهب . تلقت نداء عاجلا من
جارة فقيرة مريضة .

شيلا : (بتردد) ما هى المسألة ؟ هل . . هل أستطيع
أن أقوم بها عنك .

أيامون : (حاسما) لا لا . ليس فى امكانك . فالمرأة
تعرف أمى . كل ما فى الأمر أن تطمئن على سلامتها

ودفئها في الفراش أثناء الليل . لن تغيب أمي
طويلا .

مسر برايلون : ليلة سعيدة يا مس شيلا • اهلك تكونين
هنا عند ما أعود •

شيلا : لا أظن ذلك • لابد أن أنصرف على الفور تقريبا •
مسز برايدون : حسنا • ليلة سعيدة اذن •

(تخرج • يذهب ايامون الى شيلا فيقبلها
ويعينها على خلع معطفها)

شيلا : ما كان ينبغي أن تدع أمك تخرج في مثل هذه الليلة . . . فهي لم تعد امرأة شابة .

أيامون : أنا لا أحب التدخل في رغبتها في مساعدة جارة .. انها تحب هذا وهو يفيدها .

شيلا : ولكن المطر يهطل بغزارة ؛ وهى لا تلبس الا شيالا خفيفا حول كتفيها .

ايامون : (متبرما) اوه ، انها لن تذهب بعيدا . فلنفكر
فى أشياء أهم من المطر المنهمر ومن عجوز فى طريقها
الى تسوية الوسائد فى فراش مريضة .

انظري !! (يتحسس ثوبها) ان طرفه يقطر ماء .
الأفضل أن تجففيه قرب النار . استديري لأفك لك
أزراره .

شيلا : (تبعد يده) لا يهم . . . انك تفكر الآن فى متعتك الخاصة .

لم تكن تواقا كهذا لرؤيتى عندما طرقت الباب منذ قليل .

ايامون : أنت ؟ ولكن برينان مور هو الذى كان هناك .

شيلا : كنت هناك قبله . وقد طرق الباب أيضا .

ايامون : (غاضبا من نفسه) وأنا أحسبها طرقات جار متطفل !! كان ينبغى أن أظنها غير ذلك ؛ لأنها كانت رقيقة جدا .

شيلا : بعد أن حاولت التسلل دون أن يلحظنى أحد . تركت هناك وكل أهل البيت عرفوا أننى بالباب - وعند ما جريت عائدة سمعتهم يصيحون قائلين ان المغرية التى ترتدى الملابس الأنيقة تحاول أن تدخل بيت برايدون مرة أخرى !! سأواجه موقفا لطيفا مع أهلى حين يسمعون بهذا .

ايامون : كنت أراجع دورى فى مسرحية شكسبير ولم أكن أريد ازعاجا . واذن فقد كنت واقفا متصلبا مقطوع الأنفاس كمالك الحزين (أبو قردان) فى البركة صادا حبيبتي عني !! على أى حال لقد انتهى الأمر الآن ، وها أنت بين ذراعى آمنة مطمئنة جميلة .

شيلا : (تفاوم للابتعاد عنه) لا . لم يننه الأمر . ثم
لا تضمنى بمثل هذا العنف . لا تزعجنى الليلة
لأننى متعبة بعض الشيء .

أيامون : (متبرما) متعبة ؟ مرة أخرى ؟ حسنا ؛ وأنا
كذلك متعب أكثر من بعض الشيء . ولكن لن يبلغ
بى التعب أن أعجز عن اصفاء شىء من الحرارة على
استقبالى لمن أحب .

شيلا : أوه يا أيامون ، أريدك أن تكون جادا ليلة
واحدة .

أيامون : عال جدا ؛ عال جدا يا شيلا . (يبتعد عنها الى
الجانب الآخر من النار) اذن فلنتدبر كيف يمكننا
أن نشيع المسرة فى كل لحظة من لحظات بهار غد .

شيلا : هذا ما سارعت من أجله الى هنا لأراك . ليس فى
امكانى أن أصحبك غدا .

(سكوت طويل)

أيامون : لماذا لا تستطيعين أن تصحبينى غدا ؟

شيلا : سيبدأ بنات القديس فريجيد الاعتكاف غدا للمتفرغ
للصلاة على روح القديس وأمى تصر على أن أكون
معهن .

أيامون : وأنا أصر على أن تكونى معى . هل يهملك القديس
فريجيد أكثر من الخاطيء أيامون ؟ أتفضلين الذهاب
الى الاجتماع على الحضور لرؤيتى ؟

(سكتة) أصحیح یا شیلا ؛ أصحیح ؟

شیلا : (فی همس حائر) فلیغفر لی الله • بل أفضل أن
أجیء لرؤیتك •

ایامون : تعالی اذن وسیغفر الله لك بالتأكید •

شیلا : لا أجرؤ • ستخاصمنی أمی الی الأبد لو تخلفت •
قد أخبرتك کم هی تکره أن أقرب منك • انها
تمطر سمعی لیل نهار بتحذیرات تحنها خطوط
حمراء ورجاءات ذات حواش سوداء ، وعنما تقل
هذه لانقطاع أنفاس أمی ؛ یبادر أبی الی ایقاظها من
رقدتها ویرسلها متراقصة حولی وقد زادت قوة
واکتست فی سرف بالسواد الممیت والحمرة
اللامعة •

ایامون : شیلا ، شیلا • یجب أن تكونی معی فی الیوم
الوحد فی الشهر الذی أنا خال فیه • لن أذهب
الی اجتماع للعمال لکی أبقى معك •

شیلا : وهناك شیء آخر یا ایامون • • • التهديد بالاضراب •
أوه ، لماذا تتدخل فی مثل هذا النوع من الأمور ؟

ایامون : أوه لا تهتمی بهذا الآن • لا تكونی كالطفلة
الهلوعة المختبئة فی بقعة خالية وسط أدغال
الشوك • • • تأمن الوحز إذا لم تتحرك ؛ ولكنها
تعجز عن الوصول الی العشب الأخضر أو الطريق

المفتوح ما لم تجازف بالدموع التى يسببها وخرز
الشوك .

شيلا : أوه يا أيامون . اذا كنت تحببني فلتحاول أن تكون
جادا .

أيامون : (فى شىء من الحماسة) أوه يا شيلا ؛ لما يحن
بنا الوقت لاصطناع الجد على غرار من هم أكبر منا
سنا . وانه لقريب يوم نقتات بأطراف الحكمة ،
يوم تضع أصبع الزمان نذر المشيب على وردة
الشباب الحمراء ، فلا تجمدى بصلواتك الباردة هذه
الزفرات الحارة التى تفرع من مباهج الحب .

شيلا : (بحماسة) لن أصغى اليك يا أيامون ، لن أصغى
يجب أن تتطلع الى الأمام على طريق المستقبل . انك
تسلك بحياتك سبلا شتى بدلا من أن تسلك
الطريق الأوحده الذى ييسر لنا أن نعيش معا .

أيامون : اننا نعيش معا الآن، نعيش فى ضوء الأيكة التى
تحترق . وأحب أن أقول لك ان الحياة ليست شيئا
واحدا بل أشياء كثيرة ، انها لهب عريض متشعب ،
جليل جميل ملمسه ومنظره ، بيد انه لا يبهز
عين أى انسان يعيش فى وهجه . أنا لست ممن
يحملون الخوف معهم أينما ذهبوا كما يحمل
القسيس خبز القربان ، فليمش الخوافون على
أطراف أصابعهم فى طريق ذابل ؛ أما أنا فسوف

تقودنى قدامى الى حيث تنمو الورود الحمر ؛
ولو حفت بأشواك طويلة حادة نافذة •

شيلا : (تقوم من على الكرسي محتدة) لن أصغى اليك
بعد هذا ، أنا ذاهبة • أتريد أن تجعلنى قبسا من
سراب زائف • أنا ذاهبة •

أيامون : ما أنا الا قبس من ملكوت الله يا فتاتى • قبس
ينير طريقا جديدا لحياة كحبيب الكأس لا يبقى غير
لحظة فى عمر الزمن ، أو يلهب خيال شاعر فيصدق
بالغناء •

شيلا : ان مجيئى الى هنا هو بمثابة فرصة أخيرة لمناقشة
الأمر معك فى هدوء ولكنك لا تمكنى من هذا •
(يحوطها بذراعيه) أطلقنى • (بتوسل) أرجوك
يا أيامون أطلقنى •

أيامون : أعلم ان الله يحب أن يرى المسرة تلتهم لحظة
فى وجوه عباده الذين بهظتهم الهموم •

شيلا : (بخشية) لا تدخل اسم الله فى مثل هذه الأمور
والا حل البلاء على كلينا • ثم ان حبك لى لا يدوم
الا ما دمت هنا • فاذا ما وليت انصرف فكرك الى
لوحات تصويرك المسكينة ، وايرلندتك المسكينة ،
وأغانيك ؛ ونقابة عمالك ؛ وشغلت عن التفكير
فى شيلا •

أيامون : أنت جزء من كل هذا ، تدورين فيه وتنفيذين
منه سعيدة رشيقة رائعة ، وردة جميلة حلوة حمراء .
(يجذبها اليه ويضمها بشدة ويرفعها الى حجره
ويقبلها) شيلا يا حبيبتي ، أنت لا تستطيعين
التغاضي عن الفرحة التي تجعل من القمر ثمرة ذهبية
في شجرة خفية . لا تستطيعين أن تصمي أذنك عن
الأنغام العذاب لذلك الجرس الفضي الذي لا يدق
الا مرة ، ثم يسكت الى الأبد .

(يفتح الباب ويطل منه رأس برينان مور وهو
رأس اصلع شديد اللعان ، والوجه كثير
التجاعيد غير أن العينين براقتان نافذتان .
ذقنه البضاء الطويلة تضفي عليه شبيها
بعيدا بالقديس جيروم . يرتدى ملابس وقورة
ولكنها خلقة ، فوقها معطف مطر طويل بلله
المطر . وعلى رأسه قبعة مستديرة حائلة
اللون)

برينان : أوه ... عجباً ... عجباً ... عجباً !!

(يدخل الحجرة فيبدو ظهره منحنيا ولو أن له
مظهر القوة . وفي حزام من الجلد حول جسمه يعلق
أرغنا على ظهره . (شيلا وأيامون ينفصلان) .

(يقوم هو ليقابل العجوز بينما تحملق هي مرتبكة
في النار) .

أيامون : ماذا تريد بحق الجحيم ؟

برينان : (غير آبه لسؤال أيامون ، يخلع قبعته ويلوح بها منحنيا) آه يا حمامتاى الجميلتان الثلجيتا الصدر من حمام دبلن . أخشى أن تضيع بعد لحظات رائحة الفرح الأكيد لزوجين عاشقين . وانى لأسأل ما اسم هذه العريزة اذا لم يكن فى ذلك اجترأ على الغير الذين تربطهم صداقة أوثق . ولو أن الحق انه من العدالة والروعة بمكان أن أسعد بدس أنفى فى حجرة هذه السيدة المعبودة من خلال النافذة التى فتحت على استحياء .

شيلا : (خجلة) اسمى شيلا .

برينان : شيلا ؟ وانك لحقا شيلا . نعم وهو اسم مناسب أيضا لأن بين مقطيعه رقة ولرجعه الفضى صدى يرسمان بأبهى صورة ، تلك الفتاة الجميلة المشوقة التى تراها عينا شيخوختى الآن .

أيامون : (يذهب اليه ويمسك بذراعه ليخرجه) لا أستطيع أن أفرغ لك الآن أيها الصديق القديم لأن كلينا غارق فى سؤال لا بد من الاجابة عنه قبل أن نكبر يوما آخر .

برينان : أعلم هذا بالتأكيد . أو ليس طبيعيا أن يكون لدى الشباب أسئلة تلقى واجابات تعطى حول

المشاكل الندية التي تعترض طريق أقدامهم
الراقصة ؟

أيامون : (وقد ضاق صدره) عد مرة أخرى يا صديقي
القديم بعد أن يقف بنا الزمن ساعة نستريحها .

برينان : اعلما أنني لست ثقيل الظل الى حد أن أراوغ
شوقكما الى الغوص فى أعماق النتيجة الصامتة
لنظر كل منكما الى صاحبه دون ممانعة أو حائل
(يمشى نحو شيلا وهو يجذب أيامون ورائه) من
السهل ياسيدتى الحلوة أن أرى أنك محيطة بكل
ما يعلمه رجلك الشاب وأنت لست جاهلة بشيء ،
ولذا يحق لى أن أكلّمك رجلا لسيدة ، وأطلب اليك
أن تخبرينى - بينى وبينك - مارأيك فى بنك
أيرلندا ؟

أيامون : أوه . أرجوك أيها الرجل العجوز ، شيلا لاتعرف
شيئا عن بنك ايرلندا أنها لاتعبأ قط بالمال ولا بما
يمكن أن يشتريه المال .

برينان : (يحملق فى أيامون لحظة كما لو كان قد تلقى
صفعة) اه ؟ ماهذا الكلام الفارغ يارجل ؟ من ذا
الذى لا يفكر فيما يمكن أن يشتريه المال .

(يذهب الى الباب وهو يعجل على اطراف
أصابه فيفتحه ويطل للخارج ثم يقفله مرة

أخرى بهدوء . ثم يعود على أطراف أصابعه
نحو شيلا فينحنى أمامها ويداه على ركبتيه
ويهمس بصوت مبحوح (

أنى أفكر قليلا فى أمر السندات والحصص التى
يصدرها بنك إيرلندا بفائدة أربعة فى المائة . . .
مجرد ما يكفى لوقاية فقير من المرض . . . اه ؟
(لأيامون) والآن دع السيدة الجميلة تقبل رأيها
الخاص (يدير رأسه مرة أخرى نحو شيلا) انها
آمنة هناك كما لو كان القديس بطرس نفسه يحفظ
مفتاح المكان الذى تودع فيه السندات ، اه ؟

شيلا : أنا واثقة من أن هذا صحيح يا سيدى .

برينان : (بتأكيد ضاحكا) ز . . . ز . . . نعم نعم .
ألسـت الشابة العاقلة ؟

أؤكد لك أننى كنت أعلم أنك ستقولين هذا دون
خوف أو تحيز (يلتفت ناحية أيامون) ماذا تقول ؟
انك الآن رجل يحسن الحكم على الأمور .

أيامون : أوه ان الدولة لابد أن ننهار قبل أن يضيع عليك
درهم .

برينان : (طربا) اخبط ! اخبط بأقصى قوة !

أيامون : اخبط !

برينان : اخبط ! (لشيلا) أسمع هذا ، ومن رجل
صاعد فى مدارج العلم ؟ نعم نعم جدران من
الحجر ، وأبواب من الصلب ، ومفاتيح وأقفال
مزاييج وقضبان ، وراء هذا كله تودع السندات
دافئة براقه محفوظة من البلل فى مكان أمين .

شيلا : فى مكان أمين .

برينان : (طربا) نعم نعم . ولن يتسرب شىء منها الى
صندوق الاحسان (يبتسم) أولا يستشيط البابا
غضبا لو علم بمقدار ما يضيع عليه ! آمنة مطمئة .
(لايامون) أنت تعتقد هذا أيضا . . . اه ؟

أيامون : نعم نعم .

برينان : (برزانه) نعم بالطبع . (لشيلا مشيرا الى
أيامون) سلالة طيبة يا سيدتى الجميلة الرقيقة ،
نربى على أن يرى الأمور على وجهها الصحيح .

أيامون : (يمسك بذراعه وقد نفذ صبره) والآن يا صديقى
القديم يجب أن نملك على الانصراف .

برينان : اه ؟

أيامون : الانصراف . لدى شيلا ولدى ما نريد أن نتحدث
فيه .

برينان : (فجأة) وماذا عن الأغنية اذن ؟

ايامون : أغنية ؟

برينان : الأغنية التي أعدت للحفلة • أليست هي التي
جئت من أجلها ؟ أخيرا وبعد جهد جهيد استطعت
أنا وسامى أن ندون اللحن بالمفاتيح الصحيحة
والعلامات والأقواس على الوجه الذى يستطيع به
أى انسان أن يغنيه فى أى وقت • ان سامى بالطابق
الأسفل فى ردهائه الزاهى الذى أعده للحفل
ينظر استدعاءه الى هنا ليسمعكم الأغنية كما
يستطيع سامى وحده أن يغنيها •

أيامون : استدعه • استدعه • • بحق الجحيم لماذا لم تخبرنى
بكل هذا من قبل ؟

برينان : (تأثرا) ألم أكن أحاول هذا طول الوقت وأنت
تمنع أى انسان من أن ينطق بكلمة معك • (يشير
الى شيلا) سيتمنع عن الغناء أمامها • (يهمس بصوت
مبحوح لشيلا) انه خجول كطفل يلبس سراويله
لأول مرة ياسيدتى العزيزة •

أيامون : (يدفعه بشدة خارج الحجرة) أوه ، اذهب ،
اذهب يارجل وأحضره • (يخرج برينان)

شيلا : (جادة) انتظر حتى أخرج يا أيامون • لا أستطيع
البقاء طويلا وأريد أن أحادثك فى الكثير •

أيامون : (بشئ من الانفعال) أوه ، يجب أن تسمعنى
الأغنية يا شيلا • لقد ظلا يعملان أسبوعا فى اعداد
اللحن ، ولن يستغرق الأمر دقيقة •

شيلا : (غاضبة) ما أطول ما انتظرت حتى الآن ! الست أكثر اهتماما بما أريد أن أقول من أن تصغى الى تافه أحق يغنى أغنية ؟

أيامون : (مأخوذا بعض الشيء) أوه يا شيلا ، ماذا بك الليلة ؟ ان النجار الشاب الذى سيغنيها ، وهو أبعد ما يكون عن التفاهة ، خجول كفارة الحقل ، وسوف ترين عندما يبدأ الغناء أنه يشيح بوجهه عنا . أنت نريدين سماعها يا شيلا ، أليس كذلك ؟

شيلا : (بنوسل) فلتنتظر الأغنية يا أيامون ، أستطيع الحضور لسماعها فى فرصة أخرى . أريد أن أقول لك شيئا هاما جدا عن لقاءاتنا فى المستقبل .

أيامون : (فى لهفة) عال جدا . اذن فساخرجهما على عجل فور انتهاء الأغنية . ها هما قد جاءا فاجلسى ، اجلسى دقيقة واحدة أخرى .

(ولكنها تذهب الى الباب وتصل اليه فى اللحظة التى يعود فيها برينان وهو يدفع امامه شابا فى الثالثة والعشرين ، خجولا متنعما فى الدخول . وهو طويل القامة ولكن وجهه شاحب يشبه القناع فى تعبيره عن الاستسلام للعالم ولكل ما حوله . وحتى عندما يبدو خجلا فان ملامحه القناعية لا تتغير . يلبس سترا بيضاء تشبه رداء السهرة ذا الدليل ، وصدرية

سوداء فوق قميص متسخ جدا ، وسراويل
خضراء مكشكشة . فى يده مخطوطة موسيقية .
يرينان ينزل أرغنه من على ظهره ويدفع المغنى
الشاب الى الامام معترضا شيلا التى كانت
تتحرك نحو الباب فيدفعها الى الداخل بحركة
من ظهره ويدفع ايامون من كتفه الى طرف
الحجرة المقابل (.

يرينان : (وهو يدفع شيلا) اخلوا الطريق هناك . سيضطروا
على نهفتكم لحظة ، أهذا ممكن ؟ كل شيء سيجيء فى
وقته . اعطوا الرجل فرصة للاطمئنان . (وهو يدفع
ايامون) ابتعد الى الوراء ، هناك ، ابتعد الى الوراء .
أعط الممثل فرصة السيطرة على نفسه . أليس هائلا ،
ماذا ؟ سترتدى مجموعة الوسط نفس اللباس على
حين يلبس الرجال الذين فى الطرف الألوان
العكسية . . سترات خضراء وسراويل سوداء
وصدریات بيضاء ؛ مفهوم ؟ سيبدو الجمع كله
رائعا . سيعيرنا بنيامين كل مجموعة الاثنى عشر
ملبسا نظير خمسة شلنات اعتبارا للسبب الذى نقيم
الحفلة من أجله . (الى شيلا فى همس مبجوح)
انظرى نحو النار وكأنه ليس هنا . انه مسرف فى
الخجل يفرق فى الارتباك من نظرة . أتفهميننى ؟

(تجلس متباطئة مقببة وتنتظر فى النار . يفتح
الباب ويدخل رورى او بالاكون وتعت ابطله
لغة صغيرة من المجلات الايرلندية ، وهو رجل

نصفه قوى يلبس سترة خشنة من الصوف
المغزول يدويا وكابا وسراويل قصيرة وفوقها
معطف ،

دورى : اليك ياأيامون ياولدى ، هاك المجلات الايرلندية
التي جعلت صديقى يحصل لك عليها . (ينظر الى
المغنى) هالو ، أى نوع من السيرك ندار هنا ؟

أيامون : مستر برينان مور ينظم المغنين هنا للحفلة التي
ستقام للحصول على المال فى حالة اضطرارنا
للاضراب ياوروى .

دورى : أنا نفسى واحد من العمال ولكنى لاأوافق على اقامة
حفلة أجنبية بينما سيوف التحرير مشرعة فى ارضنا .
نحن لسنا بحاجة الى الأعيب الكفر والشمسعوذة
فى بلادنا .

برينان : (غاضبا) لا يهمنى ماكنت تراه قبل حضورك
فلتجلس الآن . حاول أن تعتبر نفسك عضوا متحضرا
من أعضاء مجتمعنا يا رجل والزم الهدوء (للمغنى)
والآن ياسام يا ولدى الغالى انزع الحجل عن نفسك
وغن كما لو كنت تؤدى دورك فى حفل ملكى رسمى .

دورى : (مزمجرا) لا نرى حفلات ملكية رسمية هنا .

برينان : (بحركة غيظ واشمئزاز) يا رجل ألا تكف بالله
عن اطفاء حماس المغنى ؟ لقد استعمت هذا التعبير
« يارجل » مجازا .

رورى : رجل مجازا أو امرأة مجازا ، لن تكون هناك
تهجمات ملكية مادامت سيوف التحرير مشرعة .

أيامون : أوه ، بحق المسيح يارورى دعنا نسمع الأغنية .

برينان : (للمغنى الذى ظل يسعل خجلا ويدير جانبه
للحاضرين) والآن ياسام تذكر أنك لست فى ثياب
العمل وأنك رجل مختلف تمام الاختلاف . ارفع
رأسك وأبرز صدرك (يوقع بعض الأنغام على الأرغن)
هيا .

المغنى : (يغنى)

شال وقوريلف جسدها كله

مسته الشمس ورذاذ البحر المالح .

ولكن تحته فى الظلام يداً رقيقة بارعة الجمال

تحمل الى باقة فاخرة من الورود الحمراء .

(يدير جنبه أكثر للحاضرين ويسعل خجلا)

برينان : (بحماسة) سام انك تتفوق على نفسك .
استمر يا ولدى .

المغنى : (يغنى)

رداؤها بسيط ، وقدمائها عاريتان

وكل ما فيها أنيق رقيق

ولكن نجوما فى أغوار عينيها تهتف بى :

انى أحمل اليك باقة فاخرة من الورود الحمراء •

برينان : (بعد ادارة بعض الأنغام على الأرغن) الكونت ما كورمك الثانى فى طريقه للظهور ! وكلما غنى « أمى العزيزة » اضطربت السماوات بالمتزاحمين الذين يطلون عليه ليسمعوه وهو يغنيها !!

(أثناء حديث برينان يفتح الباب ويبدو مالكانى واقفا يحملق فى الحجرة ، وهو شاب قوى البنية دائب الحركة يلبس سراويل خفيفة من التويد لاتناسبه تماما ويضع على رأسه بخلاعة كابا من التويد كما يرتدى معطف مطر)

مالكانى : أقليم هذا البيت ملهى صاخبا أم ماذا ؟

برينان : (يفرق بلسانه مغتاظا) تش تش تش !!

مالكانى : وهل سمعت أحدا يهذر بشيء عن السماوات وقت دخولى ؟ (الى برينان وهو يربت على كتفه) أما سمعت أيها العجوز أن المسيح قد مات ؟

برينان : حسن ، احتفظ بهذا الاكتشاف العظيم لنفسك دقيقة أو دقيقتين ، أرجوك (للمغنى) والآن ياسام ، مع اعتذارى عن فظاظة الغير ، اسمعنا المقطع الأخير من فضلك •

المغنى : (يغنى) :

مامن جوهرة متعالية تتربع على عرش جبينها
أو تتلى من أذنها البيضاء ليراها الناظرون ،
ولكن رغبة مرصعة فى صدر أغلى من الدر
تحمل الى باقة فاخرة من الورود الحمراء •

برينان : (بعد بضعة أنغام على الأرغن) والآن أيتها الأنسه
الجميلة ، وأنتم أيها السادة جميعا ، مارأبكم فى
الأغنية وفى المغنى ؟

أيامون : كانت الأغنية جميلة ، والمغنى رائعا •

مالكانى : الجزء الذى سمعته منها لا بأس به •

المغنى : (فى خجل) بسعدنى أننى أعجبكم جميعا •

رورى : (متشككا) ألا تعتقدون أن الأغنية فيها شىء من
الاباحية ؟

مالكانى : (ساخرا) اباحية !! وما هى مواصفات الاباحية
فى نظر فضيلتكم ؟

(بغضب) هل انتظمت أنت أيضا فى سلك جماعة
الشبان الكاثوليك الذين يمشون فى الأرض بأنوف
طويلة كمنقار الهدهد ، يعرفون أحلى وردة من أوراقها
بحثا عن خنفساء ، ويتشممون العفن فى أعذب نسمات
تهب من البحر ؟

برينان : (محذرا) نحن فى حضرة سيدة ، فى حضرة سيدة
يا أولاد !!

دورى : ان مما يليق بالاييرلندى الأصيل أن يظل ثابت
الجنان حين يرى فى الأغنية أو القصة ميلا الى اصفاء
شئ من البهجة على سوداوية مزاج صبوات العقول
الجامدة .

برينان : (بصوت أعلى) نحن فى حضرة سيدة يا أولاد !!
شيلا : (تنهض من الكرسي وتذهب نحو الباب) ان السيدة
خارجة الآن . شكرا لكم جميعا على مسامرتكم .
(لأيامون) لن أبقى بعد الآن لكيلا أعوق مجادلان
أصدقائك الهامة .

أيامون : (ذاهبا اليها) لا تكونى مجنونة يا عزيزتى شيلا .
ولكن اذا كان لا بد لك من أن تذهبنى فلتذهبنى .
سنلتفى مرة أخرى مساء غد .

شيلا : (بتأكيد) لا ، لا غدا ولا بعد غد أيضا .

أيامون : (على حين يعزف برينان لحنا رقيقا على الأرغن
ليغطى على الحرج) . . متى اذن ؟

شيلا : لا أستطيع أن أقول . سأكتب اليك . يجوز ألا
ترانى أبدا . لقد أئذرنك أن هذه الليلة قد تكون
آخر فرصة للحديث لفترة ما ، ولكنك لم تحاول
انتهازها !!

أيامون : (يمسك ذراعها) لقد انتهزتها بمقدار ما سمحت
لى . ليلة غد ، فى المكان المعهود قرب الجسر ، جسر
الرؤبة ، حيث شاهدنا لأول مرة فى السماء آنجوس
ومعه سربه من طيور الهوى الملونة .
شيلا : (بعنف) لأستطيع ، لا أريد ، اليك عنى . .
أوه دعنى أذهب .

(تنفلت منه وتجرى الى الخارج ويسود الحجر
الصمت بضع لحظات)

رورى : (يقطع الصمت) النساء مخلوقات عجيبة ! حيوانات
أنيقة لا تعرف ذاتها قط .
برينان : (ملطفا) سوف تعود . سوف تعود .
أيامون : (محاولا التظاهر بعدم الاكتراث) أوه ؛ فلتذهب
الى جهنم .

المغنى : (بصوت خافت) هل أستطيع الانصراف الآن ؛ .
برينان : انتظر ؛ سأكون معك بعد لحظة .

مالكانى : (لأيامون) لقد جئت لأقول لك يا أيامون اننى
سأحضر غدا كتاب هايكل « لغز الكون » بعد بحث
طويل ، وسأسلمه اليك فى اللحظة التى يقع فيها
فى يدي .

(يفتح الباب فجأة فتندفع ايدا تتبعها ديمينا
وفينولا واخريات خلفهن بعض الرجال فى

حالة هياج شديد . تتقدم ورفيقتها وراءها

بقليل على حين يتجمع الباقون عند الباب .

ايدا : (سارحة) لقد ذهبت وتركتنا فى وحشة ؛ اختفت
كضبابة مسحورة فى بكور يوم صيف . سرقتها يد
بروتستانتى كافر يغار من الحب الذى كنا نكنه
للسيدة العذراء .

الجميع : ضاع تمثال سيدتنا العذراء !!

صوت منفرد : والله أعلم أى بلاء سيحل على بيتنا المسكين
الآن .

برينان : ويا له من عمل . . (بانفعال) أتخادعون أنفسكم
بأصنام لها عيون لا ترى ؛ وآذان لا تسمع ، وأيد
لا تبطش . كالشعب المختار يقيم تصاوير الشمس
والقمر ويقطع الصلة الحقبة الحميمة ما بين المسيحى
وربه ؟ هيا ، أفسحوا الطريق لى ولصديقى المغنى
لنغادر هذا المكان المدنس .

(يشق طريقه بينهم يتبعه المغنى ويخرج)

ايدا : (تومئ برأسها ليامون) جعجة كبيرة ولكن
بلا طحن !! نحن نعرفه من قديم ؛ جعجاع طيب
عجوز . نعم بالتأكيد . كثيرا ما يشتري البنفسج
بل والنرجس لأورسولا الصغيرة التى تسكن فى
الطابق الأسفل ويوصيها بألا تضعه أمام صورة
منحوتة ؛ وهو يعلم تمام العلم أن هذا هو أول شيء

ستسرع الى البيت لتفعله . وها هي الآن تحت ؛
ينفطر قلبها الصغير حزنا على سيدتها التي اختفت
(باشتباه) اذا كان لبرينان العجوز يد في اختفائها
فالويل له .

مالكاني : (ساخرا) ألا تستطيعون جميعا أن تفعلوا شيئا
خيرا من تضييع وقتكم في صنع آلهة على مثال خيالكُم
السقيم ؟

أيامون : (وهو يشير اليه ليسكت) كفى يا بودرج .
(لايدا) قولي لأورسولا الصغيرة ألا تحزن . . ستعود
سيدتها . اذا لم يعد تمثال سيدتنا العذراء هذه
الليلة فسأهجر النوم بعد عملي الليلي لأبحث عنها
وأردها آمنة الى مكانها في حائط البهو . لم تمسسها
يد انسان في هذا البيت . .

ايدا : وسوف ترى أنها ستجزيك على عطفك يا أيامون . .
(تنظر الى مالكاني) . . ولو انه لن يدهشني اذا
كانت قد غادرت مكانها مختارة وهربت منا ، غاضبة
من الكلام المريع الذي أتيح له مؤخرا أن يتردد في
جنبات هذا البيت .

مالكاني : (ساخرا) خافت مني . طيب يا أيامون ؛ على
أن أعد بعض الدروس ولذا سأنصرف . سأحضر لك
الكتاب غدا (للمجموعة ساخرا) أرجو أن يعود
التمثال المسكين الى بيته مرة أخرى .

(يخرج مجتازا الجمع الغاضب)

أيامون : (لايدا) لا تهتمى بمالكاني • ليلة سعيدة •
ولا تقلقى على تمثالك العزيز • اذا لم تعد فسنجد
أخرى لا تقل عنها جمالا وروعة لنضعها مكانها •

أيدا : (تزمجر) هذا الانسان الذى خرج سيلقى مصيرا
سيئا ؛ انه يسخر من أشياء نقدسها بمشاعرنا •

(يخرج الجميع تاركين أيامون ورورى • يخلع
أيامون صدريته ويطبقها ويعيدها الى السلة •
يذهب الى الحجرة الأخرى ويعود ومعه جاكيت
من الجلد وتوزلك • يلبس التوزلك فوق
البنطلون)

أيامون : (وهو يلبس التوزلك) ستكون حظيرة التخزين
مكانا جميلا الليلة • • أتسمع هذا ؟

(ينصت الى المطر المتساقط وقد اشتد)

رورى : انه ينهمر • هذا المالكونى يوشك أن يلقي
البلاء •

أيامون : لا • انه انسان طيب • تخلى عن عمله فى سبيل
عقيدته • • وهذا ما قد يفعله كثيرون غيره •

رورى : ومم يعيش الآن ؟

أيامون : يدق العلم فى رءوس بعض الضماليين الذين
يريدون أن يصبحوا موظفين فى الحكومة أو كتبة

فى البنوك أو شرطيين يعملون نأ يبلغوا الآخرة وهم
فى رتبة « رقيب » فى الشرطة الملكية الايرلندية أو
شرطة العاصمة .

رورى : والله ان عمله مناسب له تماما .

(يفتح الباب مرة اخرى وتبرز منه راس
ايدا)

ايدا : أرسلت أمك منذ لحظة تقول ان المرأة التى ترعاها
فى حالة سيئة وانها ستضطر الى قضاء الليل
بجانبيها . وسأسرع بنفسى لأعد لأمك فنجانا من
الشاي .

أيامون : (متضايقا) دتش دتش . . ستقضى على نفسها
قبل الأوان ، عندما أقفل البيت سأترك المفتاح لها
عندك يا ايدا .

(يشعل فانوس مناورة ويطفىء المصباح)

ايدا : وهو كذلك .

(تخرج)

رورى : أى غلام هذا الذى رسم الملاك على الحائط ؟

أيامون : أوه ؛ أنا الذى فعلت هذا . انى أبذل أى شىء
فى سبيل أن أكون مصورا .

رورى : ماذا ؛ مثل برينان مور العجوز ؟

أيامون : لا ، لا . مثل انجليكو وكونستابل .

رورى : (بدون اكتراث) لم أسمع بهما قط .

أيامون : (مفكرا) ما أبدع أن تلقى على اللوحة بعالم كامل
من الألوان ولو لم يكن الا وجهها جميلا لرجل ؛ أو
طيفا لامرأة تخطر من مخدع مرصوص بالوسائد ،
أو بيتا ذا ثلاثة أبعاد قائما على ربوة ؛ تبدو فيه
الفخامة . ان عين الله الساهرة على صنع عالم جديد
لتقف لحظة تتطلع الى جمال هذه الصور .

روى : أوه ، أيامون ؛ أيامون . امدد يدك يا رجل وانظر
هل أنت يقظان !!

(يقلب فى الكتب التى على المنضدة) أى كتاب قديم
تقرؤه الآن ؟

أيامون : (وقد لبس الجاكت والتوزلك الجلد وغطاء رأس
من الجلد يمشى ليرى الكتاب الذى فى يد روزى
ويسلط عليه ضوء الفانوس) هذا كتاب « تاج
الزيتون البرى » لراسكين كتاب عظيم . . .
سأعيرك اياه .

روى : لماذا ؟ ماذا أصنع به ؟ ليس عندى من الوقت
ما أضيعه فى الكتب . راسكين اسم غريب . ليس
ايرلنديا على ما أظن .

أيامون : لا ؛ أنه اسكتلندى كتب بابداع عن أمور كثيرة .
اسمع . . هذا ما قاله فى اجتماع لبعض رجال
الأعمال الذين كانوا يزعمون بناء بورصة فى
مدينتهم .

رورى : أوه يا أيامون .. بورصة !! وما الذى نفعله نحن ببورصة ؟

ايامون : (بصبر نافذ) اصغ الى لحظة يا رجل . قال راسكين وهو يخطب فى رجال الأعمال : « ان مثلكم الأعلى فى الحياة هو تحقيق عالم بهيج مستقر ينتشر الفحم والحديد فى كل مكان تحته . وعلى كل شاطئ بهيج فى هذا العالم يقوم قصر جميل وحظائر خيل وعربات ، وحديقة وحمامات وطرق وغابات . وهنا يعيش أولئك الذين نذروا أنفسهم لآلهة التقدم .. السيد الانجليزى .. »

رورى : (مقاطعا) ها أنت يا أيامون .. أترى .. السيد .. الانجليزى .. »

ايامون : انتظر لحظة .. السيد - ايرلنديا كان أو انجليزيا - سواء .

رورى : ليسا سواء . اعلم أنهما مختلفان . ماذا فى راسكينك هذا غير مخادع آخر عجوز قدير فى الثروة ؟ ان الانجليز يكفيهم تماما أن ينقبوا وراء الأشياء الضئيلة ؛ وأن يقضوا حياتهم ينبشون التراب طمعا فى لامع الذهب . أما نحن فغير هذا .. لدينا النور .

ايامون : أتعنى العقيدة الكاثوليكية ؟

رورى : (بضيق) لا ، لا . هذه موجودة أيضا . وانما

أعنى نور الحرية ؛ الشمعة الطويلة المنتهية في
طرفها بحربة اللهب الذهبية . النور الذى ظننا
أننا أفقدناه ؛ ولكنه عاد للاشتعال واشتد حتى
صار سيفاً من النور ، كما جاء فى الأغنية التى
غنىناها مع ليلة أمس .

(يغنى برقة) :

ان شجاعتنا التى ظن الكثيرون انها خارت
تبرق الآن كالنجم الجديد الذى يتلألأ فى السماء .
والخطر فخور بأن يسمى أخاً حميماً
لأن الحرية قد تمنطقت بسيفها .

أيامون : (يغنى معه) .

واذن فهيا الى حيث يشتد أوار المعركة .
حيث يستमित الشرفاء والمنحطون فى القنال فى
حلبتها .

وتسخر جنود الجمهوريين من جنود الأعداء .
ويحول جنود التحرير الليل البهيم الى نهار .

(وثقة . حيث يصمت كلاهما وهو ممسك بيد

صاحبه . يفتح أيامون الباب للخروج)

رورى : (فى همس حاد) ان الفينيين قد عادوا الى حمل

السلاح يا أيامون ؛ وقد التمع سيف النور .

(يخرجان . ويقفل أيامون الباب اثناء نزول

الستار)

الفصل الثانى

(نفس المنظر فى الفعل الاول .

الساعة حوالى العاشرة مساء . توقف المطر
.. وظهر القمر جميلا فى السماء وبعض
أشعته تنفذ من الشباك الجانبى .

ايامون فى قميصه جالس الى المنضدة ويديه
حصالة نقود عادية من الصفيح ؛ وعلى المنضدة
بجواره كومة صغيرة من العملة النحاسية
بينها قليل من قطع الستة البنسات . انتهى
من فوره من اخراج آخر قطعة نقدية من فتحة
الحصالة مستعينا بسكين . أمه بجانب
الدولاب تضع أدوات المائدة القليلة التى
استخدمت منذ قليل . اللبنة ذات الشريط
مشعلة وموضوعة على المنضدة بجوار ايامون
وهناك بضعة كتب مفتوحة كذلك .

ايامون : ها هى آخر واحدة . آن اخراجها بالسكين عمل
شاق حقا .

مسز برايلون : لماذا لا تضعها فى صندوق ذى غطاء عادى ؟

ايامون : كلما صعب الوصول اليها قلت فرصة صرفها في شأن أقل ضرورة مما هو أمامي الآن .

(يعد النقود على المنضدة) شلن . . اثنان . .
ثلاثة . . وستة بنسات وتسعة . . ثلاثة وتسعة
بنسات . لا بد من الحصول على شلن وثلاثة بنسات
أخرى . . فرق كبير .

مسز برايدون : لعل بائع الكتب يعطيه لك ويأخذ ما عندك
الآن ريثما تدبر له الباقي .

ايامون : (فى ألم) أوه يا امرأة . اذا لم تستطيعي أن
تقولي شيئا معقولا فلا تقولي شيئا قط . ان مجموعة
صور لوحات كونستابل تباع مستعملة بخمسة
شلنات ؛ والبائع هو نفس ابن الحرام الذى أوشك
أن يدخلني السجن لأنني هربت بكتابه «شيكسبير» .
المسألة هي ادفع وخذ اذا ما سمح لي بأخذه نظير
الخمسة شلنات .

مسز برايدون : (بفلسفة) حسن . ما دمت قد استغنييت
عنه حتى الآن ؛ فبوسعك أن تستغني عنه فترة
أخرى .

ايامون : (بيقين) سأحصل عليه في أول أسبوع نمنح
فيه علاوة الشلن التى يطالب بها العمال .

مسز برايدون : لا تعد الكتاكيت قبل أن تفقس .

ايامون : (مازحا فى شىء من المرارة) لعل قديستنا المباركة
تصنع معجزة من أجلى .

مسز برايدون : (فى شىء من القلق) احرص ، لا تقل
هذا . انا لا أستطيع أن أقول هذا يا ايامون هازلة
أو جادة . نحن لا نعتقد فى أى من السيدات
المباركات ولكن ما دمن شيئا مقدسا فمن الخير
ألا يذكرن ..

(تلبس شالها) ولو أن اختفاءها من مكانها دون
أن يعلم السبب أى فرد فى البيت أمر عجيب .
ما زالوا جميعا يقتفون أثرها .

(يفتح الباب ويدخل برينان على مهل وعلى وجهه
ابتسامة واضحة يتأبط لفة كبيرة مغطاة بالورق) .
برينان : مازالوا جميعا يقتفون أثرها ، أهذا صحيح ؟
حسن .. فليبحثوا . انها هنا سجينة تحت ابطى .

مسز برايدون : (غاضبة) يا مسز برينان مور ،
من المخجل أن ترهق هؤلاء المساكين بالهم والقلق على
كنزهم وأن تترك أورشولا الصغيرة يتفطر قلبها فى
المعصية .

ايامون : انه لعمل حقير تستحق عليه لعنة الله يا برينان .
أى خير تظن أنك تجنيه من هذا الاعتزاز المعريد

بأفكارك الخاصة . . من اقحام البلبلة على عقول
أناس جهلة متفزعين ؟ .

برينان : (بهدوء) أصبر حتى نرى . أصبر حتى نرى
قبل أن تندم على التماذى فيما تقول (ينزع الورق
فيظهر التمثال المفقود وقد بدا وكأنه جاء من فوره من
المتجر : النوب الأبيض فى غاية النظافة ؛ والروب
الأزرق زاه ؛ والذهب الذى على حواشيه وعلى التاج
يلمع . يرفعه لهم ليتأملوه باعجاب . وهو مزهو)
ها هى . . ما رأيكم فيها الآن ؟ أليست جميلة كأول
شعاع رائع فى الفجر ؛ متألثة كنجمة المساء ؟

هسز برايدون : تبارك الخلاق ؛ ما أروعها . ولكن أسرع
بالخروج بها يا برينان فانها ليست مما يصح أن
تعجب به عين برؤتستانتى .

ايامون : (فى شىء من المشاركة) أعدها يا برينان؛ أعدها
ولا تمسسها مرة أخرى .

برينان : أو ليس هذا ما سأفعله ؟ أوه يا ولداه . ستكون
مفاجأة العمر بالنسبة لهم عند ما يرونها مشرقة فى
مكانها القديم (يتحدث جادا) ولكن ثق أن ضميرى
يؤنبنى على تزيين ما يعتبر فتنة لشعب يهوذا فى
عبادة الأصنام . ولكن فلتشهدا كلاكما أننى فعلت
هذا اكراما للفتاة الصغيرة ، لا تكريما لصنم من أى
وجه من الوجوه .

مسز برايدون : (مستسلمة) لقد حدث ما حدث .
فليغفر الله لكلينا . وليغفر لى أن قلت « ما أروعها »
فقد لمست شيئاً محظوراً وأفلتت منى حركة
استحسان مذعورة .

ايامون : أعدها ، أعدها يا رجل واتركها هادئة حيث
أخذتها .

(يخرج برينان وهو يترقب ويتسمع قبل أن يفعل
ذلك) .

مسز برايدون : كان حسن النية ؛ هذا المسكين ولكنه
أتى أمراً خطراً . سأعود قبل أن تبدأ عملك .
(تنهد بعمق) لن تستغرق وقفنا الأخيرة عليها
وقتا طويلا . وقد جاءت الأغطية البيضاء ؛ الشموع
الطويلة تنتظر الاشعال ؛ والصندوق يجرى أعداده ؛
وستسود القداسة الحجره عند ما توضع طاقة
البنفسج قرب رأسها . (تخرج متمهله) الله يعلم
ماذا سيجرى للأطفال الثلاثة .

(يجلس ايامون صامتا بضع لحظات وهو يقرأ كتابا
ومرفقاه على المنضدة) .

ايامون : (يدمدم مع تنهد عميق) شيلا ، شيلا . ان
قلبي يبكى من أجلك .

(بعد سكوت لحظة يقرأ) :

بيد أن لي كبد حماسة وتنقصني المראה
التي تجعل الظلم مرا • أو أنني قبل هذا
كان يجب أن أطعم كل صقور الفلاة
من جيفة هذا العبد : الدنس الفاجر الغادر
أوه يا ويل ، كنت صبيا ، ولكنك مع هذا كنت
صبيا شجاعا وجميلا !!

(يفتح الباب ويدخل برينان وعلى وجهه
مسحة من الابتسام تدل عن الرضى • يتجول
في الحجرة حتى يقف الى جانب المدفئة)

برينان : (مبتسما) انها الآن في مكانها القديم في ثوب
تتويجها الجديد • ومن المضحك أن هذا آخر مكان
يمكن أن يبحثوا فيه عنها •

ايامون : أنا مشغول الآن •

برينان : (يجلس بجوار المدفأة) نعم هكذا أنت ، وهكذا
أراك • مشغول بالقراءة • اقرأ ما شئت فلن
أزعجك • كل ما في الأمر أنني سأجتر بعض
الأنفاس من غليونى العتيق (سكوت) كنت أتمنى
أن أكون من الشباب بحيث أستطيع أن أغرق نفسي
في متعة قراءة كل الكتب العظيمة في العالم •
آه • • ولكنني حين كنت شابا كان علي أن أقوم
بأشق الأعمال •

ايامون : أنا أيضا أقوم بأشق الأعمال .

برينان : بالطبع . أو ليس هذا ما أقوله ؟ وتستحق كل التقدير أيضا ؛ مع أنه لا بد أن يكون من دواعي ارهاقك أن يدخل عليك ذوو العقول الفارغة فيعوقوا حركة أفكارك الذهبية .

ايامون : غالبا ما يكون هذا ازعاجا لعينا .

برينان : طبعا . أليس هذا ما أقوله ؟ (عندما يفتح الباب) وهذا غبي آخر قادم .

(يدخل رورى ويغلق الباب فى ضجة كبيرة) أوه ؛ برفق يا هذا . . . ألا ترى أن أيامون مشغول بالقراءة ؟

رورى : (يدخل ويميل على أيامون) أما زلت تسمع لراسكين بأن يشاكسك ؟

أيامون : (غاضبا) لا ، لا . بل شيكسبير ، شيكسبير هذه المرة (يقفز من كرسيه) ما ألعن هذا ، ألا تتركون الانسان فى حاله لحظة ؟ بحق جهنم ماذا تريد الآن ؟

برينان : (محذرا) قلت لك انه مشغول .

رورى : (معتذرا) أوه ، انما جئت بالتذاكر التى طلبت منى احضارها لك الحفلة الذكرى الوطنية لتيرنس بليو ماكمانوس .

ايامون : حسن ، حسن • اعطني اياها •

رورى : كم واحدة تريد ؟ كم واحدة تستطيع بيعها ؟

ايامون : أعطني اثنتى عشرة من ذات الستة بنسات • اذا لم يحدث الاضراب فسأبيع هذا القدر بسهولة •

رورى : (يعد التذاكر فيجمعها ايامون ويضعها فى جيبه)
قابلت ذلك الملكانى فى الطريق ومعه كتاب لك ؛
ولكنه وقف ليقول لاثنين من عمال السكة الحديد
ان حكاية آدم وحواء مزيفة برمتها •

برينان : (بغضب) لقد أثار حنق الكثيرين هنا بما يذيعه
من اعتقاده أن خلقة يد الانسان لا تكاد تختلف عن
مخلب القرد أو حافر الحصان أو زعنفة الحوت أو
جناح الطوطاء !!

أيامون : نعم ؛ ان كل واحدة منها عجيبة كيد الانسان •

رورى : لا يا ايامون • هذا غير صحيح من وجهة النظر
المسيحية • أتعلم ماذا يسمونه هنا ؟ المكنسنة
الجديدة ، لأنه يقول دائما انه سيكون فكرة الألوهية
من أذهان البشر •

برينان : (متشسفا) سيحيق به ضرر خطير • كان على
وشك أن يضرب علقة حين قال لأحد عمال البحر
منذ أيام أن تكوين الانسان الأول يحمل علامات
قاطعة على وجود الذيل •

ايامون : نعم ، وعندما تم تكوينه فان يكن قد جاء بلا
ذيل ، ففيه كل ما يتفق ووجود الذيل .

دورى : ولكن أليس هذا تكريما طيبا تخلعوناه على قداسة
خلق الانسان !!

برينان : (هامسا) والكثيرون يا أيامون يقولون ان
تشجيعك له يجب أن يتوقف .

ايامون : أحقا ؟ طيب ، فليقولوا . سأقف بجانب أى رجل
أمين يبحث عن الحقيقة ولو كانت طريقته غير
طريقتي . (لبرينان) أنت نفسك تجاهر فى كل
مكان باحتقار أشياء كثيرة مما يحبه جيرانك
الكاثوليك .

برينان : أنا لا أعادى الا الأكاذيب الخطرة التى حددها
مجلس السنودس والتى لا وجود لها فى الكتاب
المقدس .

دورى : نعم يا ايامون ؛ الأمر مختلف جدا . فهو انما
يمشى بين الناس مثرثرا بطريقته البروتستانتية
الجاهلة .

برينان : (بغضب شديد) أجاهل أنا ؟ وأين يستطيع
انسان أن يجد أشنع من جهلك أنت ؟ اذا كان أمر
مجلس سنودسكم بالصلاة على الموتى الذين لم تعد
تنفعهم المعونة ؛ وتقديسكم المحزن للقديسين والملائكة

وتماثلكم الحشبية والحجرية المنحوتة ؛ اذا كان كل
هذا قد أعطاك صورة الذيل وعنوانه ، فان لبن
الانجيل الخالص قد جعل منى رجلا يخاف الله ؛
ولكنه مهيب ذو عقل مزدهر بالحق الخالد المبين .

(أثناء المناقشة يطل مالكانى من خلال الباب
وهو يدخل الآن الى الحجرة فينظر الى المتناقشين
بكثير من السرور وقليل من الاحتقار دون ان
يتنبهوا لدخوله) .

دورى : قطعاً أيها الرجل ، لقد أصبت كل أهل الحى
بحقدك السلفه على التقاليد الكاثوليكية والفنكر
الكاثوليكي ولم تتردد فى أن تلحق بالبابا نفسه
نعوتاً غير لائقة .

برينان : لقد أوقعنا بكم الواقعة فى دورى وشيعنا جثث
شجعانكم طافية على مياه البوين ، كما أغرقت
جيوش فرعون فى ماء البحر . ألم تكن هذه صفقة
لباباك !!

مالكانى : أيها الأحمقان اللعينان ؛ ألا تعلمان أن البابا
كان يريد أن يكسب الملك بيلي المعركة ؛ وأن
الفاتيكان تلاً بأضواء الفرح عقب هزيمة الملك
جيمس على مياه نهر البوين ؟ .

دورى : أنت كذاب . لم يفعل هذا .

برينان : أنت كذاب . لم يحدث هذا .

(يعرضان عن مالكانى ليستانه شجارهما)

برينان : اسمع ؛ اذا كنت أعتقد فى أعمال القديسين
والملائكة فانى أقول ان البروتستانتى الصالح سانت
باترك كان على رأس ما حدث فى دورى وأوجريم
على نهر البوين .

دورى : (وقد ذهبل لفكرة أن يكون سانت باترك
بروتستانتيا) سانت باترك بروتستنتى ؟ أمخطيء
السمع أنا ؟ أى اسم ذكرت ؟

برينان : قلت سانت باترك . . المؤسس الانجيلى لكنيستنا
الحقيقية .

دورى : أفى حلم ؟ هل يحدث لى شىء ، أم انه يحدث
لك ؟ أوه يا رجل أنك تخلط الهزل بالجنون حين
تظن أن سانت باترك طوق عنقه يوما بوشاح برتقالى
أو نقر على طبله بروتستانتية !!

برينان : (باحتقار) أنا أرفض مناقشة انسان غير واسع
الآفق ؛ فالسخرية لا تقوم مقام المنطق . . ولذا فانى
أقول حفظ الله الملك وليذهب البابا الى الجحيم .

دورى : (غاضبا) أيها الرافضى اللعين . . فليذهب الملك
الى الجحيم وحفظ الله البابا .

مالكانى : (لأيامون) أترى مبلغ المرارة التى ينطوى عليها
كل منهما لصاحبه ؟ ان الحسد والحقد والخصام

ليزحف من الحمأة السوداء لقصص العفاريت التي
تسمونها دينا .

(يخرج كتابا من جيبه) ها هو شيء يحمل ألف
اختبار تدل بوضوح على أن الأرض وكل ما عليها
جاءت الى الوجود ببطء استغرق ملايين السنين ،
الأمر الذي يقضى نهائيا على أعاجيب الخلق في سبعة
أيام التي جاءت في الانجيل .

أيامون : (يأخذ الكتاب من مالكاني) شكرا يا بيوتر
يا ولدي . لابد أنني سأقضى وقتا طيبا في قراءته .

مالكاني : سيعطيك التاريخ الحقيقي العلمى للانسان كما
كان قبل آدم .

برينان : (فى صوت مرتعب) انه لمظلم ذلك العقل الذى
يحاول أن ينحط بنا الى ما كنا عليه قبل أن يخلقنا
الله العظيم الرحيم . ماذا يريد أى عاقل من أن
يعرف كيف كنا قبل خلق الانسان الأول ؟

ايامون : (ضجرا) معرفة الحقيقة ، والبحث عن الحقيقة؛
عمل طيب ولو أدى الى الموت الأبدى .

دورى : (مرتعبا يرسم الصليب على نفسه) ليحفظنا الله
من كل سوء !!

برينان : (هامسا بالرجاء) يا رب ، أنا مؤمن فأعنى على
الشكوك .

مالكانى : (يشير الى صورة فى الكتاب) أترى هذه ؟
هيئة الانسان قبل أن يولد ؛ أنظر . . الذيل . .
عظمة العصعص بارزة لمسافة ميل . لا سبيل الى
انكار هذا .

برينان : (يهن رأسه أسفا) وهذه هى ايرلندا المقدسة !!
رورى : (يرفع عينيه الى السقف أسفا) يالسانت باترك
المسكين .

مالكانى : (ساخرا) سيغدو رجلا بلا أليف عما قريب ، آه ؛
(لأيامون) حافظ لى عليه يا ايامون . عندما تنتهى
من قراءته ستكون رجلا آخر . (يذهب الى الباب)
لكم الصحة جميعا ؛ والى اللقاء ، مؤقتا .
(يخرج) .

رورى : لا شأن لك بهذا الكتاب يا ايامون ؛ لأن هذا
الإنسان الذى خرج قد يجرؤ على قلب بلاط
السموات ليرى ما تحته . كان يجب أن يرمى به
فى السجن .

برينان : وأن يصادر الكتاب .

ايامون : رورى ، رورى ؛ أهذا هو نوع الحرية التى
ستجلبونها لايرلندا بحزمة من الأغصان الخضراء
والتمتع بالصياح ؟ اذا لم نتح لأهل زماننا أن
يتفحصوا الكثير من الأشياء وكل الأشياء ؛ بل

والحياة نفسها ، فان الحرية اذن لن تكون الا زهرة
من ورق ، أو كوكبا زائفا ؛ أو صبية ميتة على
صدرها أشرطة زاهية وفي شعرها مشط من
الذهب . فلنجلب الحرية الى هنا ؛ لا بالنعاس
الرنان والصنوج الدقاقة ، بل بالألوان الفضية
الصادحة ، بأغنية يستطيع كل الناس أن يترنموا
بها ؛ بغصن نخلة فى يدنا ، لا بكرباج فى حزامنا
وبلطة جلاد على أكتافنا .

(تسمع طرقة خفيفة على الباب وصوت شيلا
تتكلم)

شيلا : (من الخارج) ايامون ؛ هل أنت هنا ؟

برينان : (هامسا) الفتاة الصغيرة . كنت أعلم أنها
ستعود .

أيامون : أنا لا أريدها أن تراكم هنا . اذهبوا الى الحجرة
الأخرى . . . أسرعوا

(يدفعهم نحوها) والزموا الهدوء .

رورى : (لبرينان) ولا تسخر من البابا . . فاهم ؟

برينان : (لرورى) وأنت لا تخص الملك بيلي
بالاستهزاء .

أيامون : هيا ادخلوا ، بسرعة .

برينان : تنبأت بأنها ستعود • أليس كذلك يا ايامون ؟
انها ستعود ؛ أليس كذلك ؟

ايامون : نعم نعم • ادخل •

(يدخلهم الحجرة الأخرى ويقفل الباب ثم يعبر
الحجرة ويفتح الباب لشيلا فتدخل ويلزم
كلاهما الصمت لحظات وهي تحاول النظر اليه
فتجد ذلك صعبا)

شيلا : (أخيرا) أليس عندك ما تقوله لي ؟

ايامون : (ببطء وبرود) انتظرني عند الجسر اليوم ونكنك
لم تحضري •

شيلا : لم أستطع الحضور • وقد أخبرتك بالسبب •

ايامون : كنت مستوحشا جدا •

شيلا : (برقة) وكذلك أنا يا أيامون • شعرت بالوحشة
حتى وأنا بين يدي الله •

ايامون : شيلا ، لقد قطعنا طريقا طويلا في قارب ذهبي
عبر بحار كثيرة ، رائقة ومائجة ، ترسل الرذاذ المر
أحيانا فيصفع وجهينا • ولكنك كنت مصغية على
الدوام لخفقت أجنحة ملك الخوف ، ولهذا نزلت
لتمشي آمنة في طريق مزدحم •

شيلا : هذا استقبال بارد متجههم يا ايامون •

ايامون : استبدلى ان شئت بالقبلة الدافئة على الفم الطامح
المشوق ، لمسة باردة من قديس معروق ملتج .
(بصوت مرتفع) اذهبى الى المزاحين الصاخبين
وشجعهم وتصايحى معهم !

شيلا : أفلا تصغى الى الكلمات القليلة التى أريد أن
أقولها ؟

(ايامون يجلس بجانب النار وينظر فيها
ويتركها واقفة)

ايامون : هيا . . لن يفوتنى أن أسمعك .

شيلا : الله يعلم أننى لا أريد أن أؤذى شعورك ولكنك
يجب أن تعلم أننا لا نستطيع أن نبدأ حياتنا على القدر
الذى تكسبه الآن . . أنستطيع ذلك ؟ . .

(يلزم الصمت) أوه يا ايامون ، لماذا تضيع وقتك
فى عمل أشياء سخيفة . ؟

ايامون : أى أشياء سخيفة ؟

(تسمع ضجة فى الشارع خارج البيت
واصوات مرتفعة تقول « أعطوه واحدة فى
ظهره » أو « اطرحوه أرضا بواحدة فى بطنه » ،
ثم يسمع صوت أقدام تجرى ، يعقبه
سكوت) .

شيلا : (عندما تسمع الأصوات - بعصبية) ما هذا ؟

ايامون : (دون أن يرفع نظره عن النار) شجار بعض
السكارى أو غيرهم • (يصغيان بضغ لحظات)
نعم ، أى أشياء سخيفة ؟

شيلا : (خائفة مترددة) أنت تعرفها يا ايامون : محاولة
التصوير ، والهيام الجنونى بشيكسبير ، والانضمام
الى صنف من الناس لا يستطيع لك الا الضرر •

ايامون : (بتضرع هازى يرفع عينيه للسقف) اللهم
الهمنى أن أترك السخف وأعيش وأسلك الطريق
الذى يرسمه عقل شيلا !

شيلا : (تقترب منه) اسمع يا حبيبى • أنت تعلم أن
ما أقوله انما هو لصالحنا المشترك ، كيما يقترب
يوم اقتراننا (تحاول أن تمزح) ألا أبدو مضحكة
حقا اذا أنا مشيت بين الناس فى ثوب خفيف فوقه
شال أسود متحشم وقدمائى المسكينتان عاريتان
(ساخرة) ألا أبدو وسيمة بهذا الشكل ؟

ايامون : (بهدوء) مع بعض الورود الحمراء فى يدك ،
ستكونين جميلة دون شك •

شيلا : (ضائقة) أوه ، كن عاقلا بالله يا ايامون • لقد
بدأت أشعر بالسأم من هذا كله • لم أعد أستطيع
احتمال الطريقة التى نسير عليها (سكتة قصيرة) •
اما أن تعمل على تحسين حالك ، واما ••

ايامون : (بهدوء) واما ماذا ؟

شيلا : (ببعض الاحتباس في صوتها) واما أن تخسرنى ،
وأنت لا تحب أن يحدث هذا •

ايامون : أنا لا أحب أن يحدث هذا • ولكنى أستطيع
الاحتمال •

شيلا : جازفت بالتعرض لشجار عنيف الليلة فى سبيل
أن أحضر لأحمل اليك نبأ سارا : قيل لى ان الاضراب
لا بد أن يقع ، وأنه سيحدث اضطراب ، وأنت اذا
انفصلت عن هؤلاء العمال الحمقى ولزمت عملك ،
فسوف تصبح فى أقرب وقت مقدما على نحو ما •

ايامون : (يقوم من مقعده ويواجهها لأول مرة) من الذى
قال لك كل هذا ؟ أهو المفتش ؟ •

شيلا : لا يهم من يكون • وان كان هو اليس هذا تفضلا
منه ؟ •

أيامون : أتعلمين ما الذى تطلبينه منى أيتها المرأة ؟ أن أكون
خائنا لا خوانى المتعصبين ، أن أنسف بيد الفرار
السوداء أملا باسماء زملائى • مهما يكن ظنك بهم
فهم زملائى • ومهما يقولوا أو يفعلوا فسوف يظلون
اخوتى وأخواتى • اذهبنى الى جهنم أيتها الفتاة فان
لى ضميرا كضميرك على أن أرضيه • (باحتباس فى
صوته) أوه يا شيلا • ما كان ينبغى لك أن تطلبى
منى هذا •

شيلا : (تحاول أن تقترب ولكنه يزيحها للوراء) أوه
يا ايامون ، انها فرصة فانتهازها • أرجوك • لأجل
خاطري •

(تسمع خطوات سريعة في الخارج • يفتح
الباب فجأة ويدخل مالكاني شاحبا فزعا
مشعث الثياب وعلى جبينه بقعة دم صغيرة •
قبعته مطبقة على راسه ومعطفه ممزق وصدريته
مفكوكة الأزرار تكشف عن ربطة عنقه وقد شدت
عن مكانها • يغوص في كرسى) •

ايامون : ما الذى حدث ؟ من الذى فعل بك هذا ؟

مالكاني : فليعطني أحدكم كوب ماء ، أرجوكم •

(يقدم له ايامون الماء من ابريق على الشيفونير)

مالكاني : أطبق على جمع من الغوغاء وأنا أتحادث مع رجل •
بكل جهد نجوت بحياتي • لولا سيدة عجوز شجاعة
لأزهقوا روحي • لقد أنقذتني مما هو أسوأ •

ايامون : وكيف بحق جهنم جلبت كل هذا على نفسك ؟

مالكاني : (شاكيا) كل ما فى الأمر أنني أردت أن أدل
لأحدهم على سسـخف الاعتقاد بالحياة الآخرة • وإذا
بشيء يخبطني في رأسي ، وأنا محوط بأقدام توجه
الى الرفس من كل صوب !

(يسمع صوت تعطم زجاج من العجرة الأخرى
فيخرج منها برينان ورورى جريا) •

دورى : حجر أصاب الشباك ! (يرى مالكانى) أوه ،
اذن فهذه هى المسألة • ألم أقل لك مرارا انك اذا
ما ظللت تسخر من الله ورجالہ المقدسين فانه سيصيب
عليك جام انتقامه يوما ما •

برينان : ابتعد عن ذلك الشباك فقد يأتى حجر آخر •

(لا يكاد يتم عبارته حتى يفترق حجر
الشباك • يستلقى برينان على الأرض ،
وينزل مالكانى من الكرسي ويقع على الأرض ،
وينزل دورى على يديه وركبتيه مطأطا راسه
ما استطاع حتى يبدو كأنه ساجد • تقف
شيلا جامدة فى ركن قرب الباب • ويتناول
ايامون هراوة من جنب الشيفونير ويتجه نحو
الباب ليخرج) •

برينان : توقعت أن يحدث هذا •

ايامون : (غاضبا) سأريهم •

شيلا : (لأيامون) قف حيث أنت أيها المجنون •

(ولكن ايامون لا يلقى بالا للنصح ويسرع
بالخروج من الباب) •

دورى : (متشكيا فى اعتزاز •• لمالكانى) هذا ما تجلبه
على الأبرياء باصرارك العنيد على الربط بين الانسان
والحيوانات الدنيا •

مالكاني : (بشراسة) انما هي الوراقاة الموروثة التي تجاهد
فى وضع أنفسكم فوق مستوى تكوين القرودة الواضح
خلقيا فى جسم كل انسان .

برينان : (ثائرا) تتبع الحياة منذ بدايتها فلن تجد أثرا
- ولا أقول دليلا - لأى صلة بين كرامة الانسان
وحكمته ورقته وبين طبائع القرود .

مالكاني : ولماذا يهوى الأطفال تسلق الشجر . . اه ؟
أجب لى عن هذا .

ورى : (بعنف) انهم يحبون هذا فى مسقط رأسك
أكثر مما يحبونه هنا .

شميلا : (من الركن) من المؤكد أنك تستحق الرثاء أيها
الشباب اذ تسلم نفسك الى كتب الجهالة لتقودك
الى الاعتقاد بأن الأشياء ليست الا ما يميل السذج
الى اطلاقه عليها ، وهم فى عمى عن الحقائق الباهرة
الخالدة المشرقة وراء ظهورهم .

مالكاني : (باشفاق) تقودنى الكتب . . الحقائق الخالدة
. . أوه ! لقد تصلبتم جميعا من الضيق لمجرد
الكشف عن حقيقة أو أخرى . هل تعلمون أن تقلص
الأمعاء والسكته والسل وعتامة العين ظواهر مألوفة
فى القرودة ؟ لقد كشف العلم عن معارف لم تصل
إليكم من قبل . وكثير منها سائغ كاليرة .

دورى : طيب .. أخيرا جئت بشيء محسوس .

**برينان : (بعنف) هل تعلموا حب البيرة منا ، أم أننا
تعلمنا حبنا للبيرة منهم ؟
أجبنى عن هذا ، هيا أجبنى .**

**دورى : أجيء عن هذا . لسنا همجا بل أناس عقلاء أصحاء
متمدنون -**

**مالكانى : (بفرح) تطورت الزواحف بفعل الزمن ..
هذا كل ما فى الأمر . لن تستطيعوا التخلص من
عظمة العصص .**

برينان : نحن فى حضرة سيدات .. فى حضرة سيدات .

**دورى : (يزحف بسرعة حتى يلاصق وجهه وجه مالكانى
- بعنف) نحن نقف على الأرض ثابتين منتصبين
القامة مرفوعى الرأس نواجه كل انسان ولا نخشى
شيئا . نحن قوم طيبو النوايا مزدهرون بنعمة
الاحسان ، نعكس فى التراب الذى خلقنا منه بريق
الماس المنبعث من قداسة الخلود .**

**شילה : (مهتاجة) يجب أن يشنق علنا ، فقد انغمس فى
حمأة خياله الحصب وراح يجدف فى أسرار عقيدتنا
المقدسة وحقائقها !**

**برينان : (لشيله) صه أيتها السيدة الجميلة ، صه ،
(للآخرين) وأنتم أيها الأولاد خذوا مثالا من**

بروتستانتى كهل مسكين منلى لا يسمح لنفسه
بأن تبدو عليه بارقة من غضب فى أى مناقشة
حادثة أو مائجة • فلتكن هذه الكلمة الأخيرة خاتمة
لهذا الجدل • انتهوا • • أسمعون ؟

دورى : (فى غضب - لبرينان) انت أنت • • أيها
العجوز الأشيب اللحية الزائغ البصر الذابل الجلد
الذى تنشد الأغاني فى الشوارع العامة نظير
دريهمات تافهة ، على حين يعمل كل موظفى بنك
ايرلندا وقتا اضافيا ليحصوا كل مالك فى خزائهم •
انت أنت •

برينان : (فى غضب شديد) ان ساعى مكتب متعجل لن
يقف ليلتقط من طريقه ذلك القليل الذى أملكه من
الدراهم • أما عن ذبولى فأننى ما زلت غض الاهاب
ملك ، لى يدان قادرتان على أن تعزفا لحنا خفقا على
أرغن قديم ؛ وسباقان قادرتان على أن تحملانى
عشرة أميال وزيادة ، وعينان لا تزالان قادرتين على
أن تبصرا دون عناء توتة حمراء ملتمة فى غصن
بعيد !

(يفتح الباب ويدخل ايامون وامه • تجرى
الأم الى الزهور التى على الشباك وتتعمسها
فى حنان) •

هسز برايلون : (فرحة) سائلة كلها • مر الحجر
بجانبيها دون أن يمس واحدة منها • • الحمد لله
على هذه المنة •

ايامون : بحق جهنم لماذا أنتم رأكعون ؟ انهضوا ، انهضوا
(يقومون من على الأرض في خجل) تفرق المشاغبيون
جميعا • (لالكانى) أمى هى العجوز التى أنقذتك
من ميتة مفاجئة غير متوقعة • وقد عاد التمثال
المبارك وهو يزهو فى ثياب جديدة • اسمعوا !

(يسمع صوت أغنية أثناء حديث ايامون ،
والآن تظهر ايذا وديمينا وفينولا والرجال
عند الباب وقد فتح على مصراعيه ، ثم يتقدمون
بظهورهم قليلا فى الحجرة ينشدون جزءا من
ترنية هادئة ، ولا تزال على وجوههم الشاحبة
نظرة الاستسلام الجامدة ، يحملون فى
التمثال الالامع الفخم كما صيره لهم برينان
وقد اقيم فى محراب فى الحائط المواجه للباب
مباشرة • يغنى الداخلون فى هدوء) :

يا مليكة أطفال شعبك المساكين

عجلى بازاحة الهم عنا

وأتىحى لنا ان نحيا فى سلام

ساعة من نهار حياتنا المظلم •

ارفعى الرؤوس المسكينة التى طال تنكيسها

وأضيئى نجما منفردا فى السماء

ليهدينا خلال الظلام الهابط

الى طريق أحفل بالبهجة نحو الموت •

أيذا : (تتقدم قليلا) عادت الى فقرائها مرة أخرى فى
ملابس زاهية • عادت بمحض مشيئتها • جاءت
لتقيم مع شعبها •

ديمينا : أطلت أورشولا الصغيرة من نافذتها فرأتها وهى
داخلة • جاءت تخطر على الطريق فى ضوء القمر
تحفها المهابة • ولما أعشت بصرها الأضواء الملونة
التي التمعت حولها تراجعت الطفلة وسقطت على
الأرض مغشيا عليها •

الرجل الأول : وأنا أيضا لمحت عينى بارقة منها وهى
تنساب عائدة الى مكانها • كانت جليلة معتزة رائعة
حتى لقد زاغت عينى وارتعدت وانشنت ركبتى
وهمس قلبى لنفسه بصلاة خافتة حين مر الطيف
أمامى ، وخيل لى أننى أرى بسمة على وجهها المقدس •

أيذا : لقد رأى الكثيرون فى منامهم رؤى عجيبة فى هذه
الليلة المباركة التى ستفيض منها البركة على كل من
عمر الايمان قلوبهم ، وربما أصابت أيضا بعض من
تنكبوا سبيل السائرين فى طريق الحق • (تقترب
من مسز برايدون ، على حين يظل الباكون مولين ظهورهم

نحو الحجرة ومعظمهم خارجها وقليل منهم على عتبة الباب ، فى شبه دائرة ، ورءوسهم منحنية كأنما وففوا للصلاة وهم يواجهون التمثال (كانت يد غريب أسود هى التى قذفت بالحجارة فى نوافذكم ، ولكن قبل أن تطلع شمس غد ستعود كما كانت لتقيكم تقلبات الجو • بارك الله فيكم جميعا ••• (سكتة) ما عدا الشرير الذى يقف متصلب الرقبة تحت هذا السقف •

مالكانى : (ساخرا) أنا ؟

شيلا : (فى عنف) نعم أنت • أنت الذى لا ينبغى أن تجد ابتسامة أو قبضة يد مرخاة فى بيت أى رجل محتشم •

مالكانى : سأذهب ، فأنتم هنا أكثر بكثير مما أستطيع أن أناقش • سأترككم ومعجزتكم •

ايامون : فى وسعك أن تبقى اذا شئت فمهما يكن فى هذا المكان من ملجأ أمين فانه يتسع لمن يريد أن يضيف لونا جديدا على أية حقيقة عرفناها من قبل • والفكرة التى فرت من الضرب ستجد لها هنا سقفا يحميها ونارا تدفئها ما حييت أنا وما بقيت هذه الحجرات القديمة •

شيلا : (فى مرارة هادئة) طيب ، فلتؤوه اذن ، هذا

الذى كان ينبغي أن يتوه فى ظلام الليل الأسود ،
وحيدا بلا أنيس ولا قبس ضئيل من نجم محتجب
يرافقه من بعيد . وأن يكون له متكأ قفر تحت
أكمة شائكة مبتلة من شجر جفت أعواده وذوى
ورقه ، يقهره العناء على الزهد فى حياة ليس فيها
الا مغالبة الرياح السود والمطر المعتم . فليكن هناك
مضطجعه ولتكن هناك حياته ، مهجورا منسيا من كل
من يعيش فى ملجأ أمين جنب نار مدفئة .

مالكانى : (بفرع مصطنع) يا أرحم الراحمين ، لقد قضى
على ! فلاذهب قبل أن يحقق بى ما هو أسوأ . ليلة
سعيدة يا ايامون .

ايامون : ليلة سعيدة يا صديقى .

(يخرج مالكانى)

برينان : اننا نعوق الناس الطيبين عن أن يأتوا الى فراشهم
.. الى اللقاء جميعا .

دورى : سأرافقك بعض الطريق ، وفى وسعنا أن ننتهى
من تلك المناقشة التى بدأناها . ليلة سعيدة لكم
جميعا .

(يخرج هو وبرينان معا ويقفلان الباب
وراءهما . شيلا تظل واقفة فى مكانها متبرمة
صامتة) .

مسز برايدون : يا للعار يا شيلا • أخرج مثل هذا الدخان الأسود من مثل هذا المصباح الذهبى ! (شيلا تظل صامتة) أنا منهوكة القوى فزعة من منظر الموت الذى رأيته اليوم • مهما تراوغ فسنلقى نفس المصير •

ايامون : (يقودها برفق الى الغرفة الأخرى) اذهبى الى فراشك أيتها السيدة فأنت خائفة القوى • ما الزمن الا عجوز سليلط حائشة تنذر بالموت آناء الليل وأطراف النهار ، ومن يصطنع القوة والبهجة فى كل لحظة من حياته لا يمكن أن يذوق طعم الموت أبدا ، وانما يمضى لينام بين النجوم وذراعاها الذائبتان ممدودتان تحييان رجع ندائه • وعلى الذين خلفهم وراءه أن يبكوا ساعة ثم يتغنوا بأغانهم العجيبة ويتمايلوا برقصاتهم الشاذة تقربا من الواحد الأحد ، حتى يمضوا بدورهم فى طريق الخروج الأجرد • والانسان الحق حين يموت انما يدفن فى مولد ألوف العوالم •

(تدخل مسز برايدون الحجرة الأخرى ويقفل
ايامون الباب وراءها بلطف ثم يعود فيقف
شاردا بجوار النار) •

ايامون : (بعد سكوت) ألا تعتقدين أن عليك أيضا أن تذهبى ؟

شيلا : (فى شىء من الضعف) دعنى أقل لك بضع كلمات
أخرى يا ايامون قبل أن نعاجل فراقنا .

ايامون : (بهدوء) لم يبق شىء يقال .

شيلا : بل هناك الكثير مما يقال ولكن الزمن العجول
يأبى أن يمدد الساعة قليلا لتتسع لما قد يقال .
وداعا .

ايامون : (دون أن يلتفت) وداعا .

(تتبعه شيلا ببطء نحو الباب على حين ينفتح
قليلا ويبدو منه رأس ايدا وسط همهمة غير
واضحة لصلاة تقام فى الخارج) .

ايدا : (فيما يشبه الهمس) يريد القسيس البروتستانتى
أن يرى مسز برايدون .

(يختفى رأسها ولكن صوتها يسمع قائلا
بوضوح)

من هنا يا سسيدي . أنت تعرف الطريق جيداً
بالتأكيد .

(ينفتح الباب أكثر قليلا ويدخل القسيس ،
وهو رجل وسيم فى الأربعين ، على وجهه
الشاحب مظهر العلم والمهابة ولكن يبدو
المطرب فى عينيه الرماديتين . وحول فمه
خطوط باسمة وإن كانت تخفيها بعض الشىء
لحية قصيرة سمراء مدببة وخط الشيب
بعض جوانبها . يلبس فوق ثيابه السوداء

معطفا اسود ثقيلا يزدهر سواده قليلا بكوفية
خضراء حول رقبتة تستقر اطرافها على كتفيه .
على راسه قبعة قسيس سوداء ناعمة عريضة
الحافة . وبيده اليسرى عصاة .
يسرع نحو ايامون وعلى وجهه ابتسامة صادقة
مادا يده بالتحية) .

القسيس : يا عزيزى ايامون . (يتصافحان) .

ايامون : (مشيرا الى شيلا) صديقتى يا سيدى . . شيلا
مورنين (يقدم كرسيها) اجلس يا سيدى .

(ينحنى القسيس لشيلا فتزد بهدوء ويجلس)

القسيس : أسرع من بيتى فى عربة يا ايامون لأراك قبل
أن ينتهى الليل (يأخذ وجهه طابع الجد) عندى
لك رسالة . . وتحذير . .

(يفتح الباب جزئيا مرة أخرى ويبدو جزء
من راس ايدا وسط الهمهمة فى الخارج التى
لا تسمع حين يقفل الباب) .

ايدا : اثنان من عمال السكة الحديد يريدان أن يقابلا
يا ايامون . ان بيتك مكتظ بالناس الليلة . . ام ؟

(يختفى الرأس ويفتح الباب فيدخل عاملا
السكة الحديد . . يرتديان ملابس خلقة
كسائر العمال ولكن (كآب) السكة الحديد
الذى يبقيا على راسيهما يلتصق بالاشربة

الحمراء التي تحوطه • وجهاهما كوجوه سائر
الاعدال كذلك • نظراتهما جامدة متجهة الى
الذئام • يقفان متصلبين حين يريان القسيس)

العامل الأول : (بعد سكرة) معذرة • لم نكن نعلم أن
الراعى البروتستانتى هنا •

سننتظر فى الخارج حتى يذهب يا ايامون •

ايامون : القسيس صديق عزيز يا بيل ، قل ما تريد دون
خوف •• انه صديق •

العامل الأول : (فى شىء من التشكك) يسرنى أن أسمع
هذا • هل تعلم أن الاضراب سيبدأ غدا ؟

ايامون : الآن قد علمت •

العامل الثانى : رفضوا علاوة الشلن • عرضوا علينا ثلاثة
بنسات بدلا منها •• المنحطون (بسرعة للقسيس)
لا تؤاخذنى يا سيدى •

العامل الأول : (يخرج ورقة من جيب صدره) وقد أعلن
عن الاجتماع •

القسيس : (لأيامون) هذا جزء مما جئت لأخبرك به •

العامل الأول : (يناول الورقة لأيامون) سلموا هذا
الى لجنتنا هذا المساء ، اعلان تحذير •

القسيس : (لأيامون جادا) كلفت بأن أنذرك يا ايامون

بأن السلطات مستعدة لاستخدام كل ما عندها من
قوة لمنع الاجتماع .

ايامون : من الذى كلفك يا سيدى . . أهو مفتش
البوليس ؟

القسيس : حارس كنيسةتى يا ايامون . فحتى هو فيه
بعض الخير .

ايامون : أوافقك على هذا يا سيدى ، ليس عندى ما آخذه
عليه .

القسيس : (مقتنعا) هذا ما أعلمه يا ايامون .

ايامون : (مشيرا الى الورقة . . للعامل الأول) وماذا
ستصنع اللجنة بازاء هذا ؟

العامل الأول : ماذا تصنع أنت بازائه يا ايامون ؟

ايامون : (يشعله بالنار وينتظر حتى يتساقط رمادا)
هذا !

العامل الثانى : (مسرورا) ما قلنا انك ستصنعه بالضبط !

شيلا : (بترفع) انه غير ما يظن أى انسان عاقل أنه
سيصنعه .

العامل الأول : (يتجاهلها) وفضلا عن هذا يا ايامون
يا ولدى نحن نريدك أن تكون أحد الخطباء على منبر
الاجتماع .

شيلا : (تندفع الى الأمام وتواجه العاملين) لن يفعل شيئا مثل هذا . . أتسمعان ؟ لا شيء من هذا . . أيها النواحون اللاعقو الجمر ، من ذا الذى يلقي بالالما تعانون أو كيف تموتون ؟ أمام إيامون قراءاته وصوره ليتمها ، أنه ليرعاها ، وذلك أولى من أن يتشدد بشكاواكم أمام فوهة بندقية مستعدا لأن ينشدد أنشودة الموت القصيرة الخاطفة .

العامل الأول : (فى شيء من الخوف) جئنا لنرى إيامون لالنراك أنت يا آنسه .

العامل الثانى : (بخشونة) دعى الرجل يتكلم عن نفسه .

إيامون : (يمسك بذراع شيلا ويشدها الى الورا) انهما يريدان ردى أنا (للعاملين) أخبر اللجنة يا بيل بأنى سأحضر ، وأنهم يشرفوننى أذ يسمحون لى بالوقوف أمام اخوتى . ولنعدل عن الحفلة .

شيلا : (متفزعة للقسيس) كلمه أنت فأنت صديقه تستطيع أن تؤثر عليه . اقنعه بالابتعاد يا رجل .

القسيس : ينبغى على أن أنذرك يا إيامون أنت وصاحبك بأن السلطات مصممة على منع الاجتماع وأنكم تتعرضون لخطر جسيم اذ تتحدونها .

العامل الثانى : (يزمجر) سنجازف . لقد طال بنا العواء يا سيدى وآن الأوان لنجرب العض .

شيلا : (للقسيس) الانذار غير مجد • هذا لا يكفي • •
• امنعه من الذهاب •

أره أن الله لا يرضى عن هذا •

القسيس : (يقف) من أنا حتى أقول ان الله لا يرضى عن
هذا ؟ انك أصغر بألف سنة من أن تدركى ارادة
الله • اذا كانوا اخوته فمن الخير أن يكون معهم •

شيلا : (بعنف) سأحضر أمه لتسند عليه الطريق •
ستذهب الى أبعد من التمرمر بأعذار ضخمة •

(تجرى نحو باب الحجرة الأخرى وتفتحه
وتدخل • بعد لحظات تخرج متباطئة وتذهب
الى الكرسي الذى أخلاه القسيس وتجلس عليه
وتتكئ بذراعيها على المنضدة وتسند رأسها
اليهما) •

ايامون : نعم ؟

شيلا : (فى ضعف) انها متمددة متعبة شاحبة مستغرقة
فى النوم • لم يطووعنى قلبى على ايقاظها •

القسيس : (يمد يده الى ايامون) تعال لمقابلتى قبل أن
تذهب يا ايامون ثق أنك حيثما ذهبت ومهما فعلت
فإن بركة منبعثة من أعماق قلبى تحف بك • وداعا
(للعاملين) وداعا يا صديقى •

العاملان : وداعا يا سيدى

(ينظر القسيس الى شيلا ثم يستقر رايه على
ألا يقول شيئا فيذهب الى الباب • ايامون
يفتح له فيخرج مخترقا شبه الدائرة من الرجال
والنساء الذين مازالوا يغنون فى رقة امام
تمثال العذراء • يسمع بكاء شيلا فى هدوء
كنفة خافتة اثناء الفناء) :

آه يا مليكة أطفال شعبك المساكين

عجلى بازاحة الهم عنا ،

واتيحى لنا أن نحيا فى سلام

ساعة من نهار حياتنا المظلم •

« ستان »

الفصل الثالث

جزء من مدينة دبلن ينتهى بشوارع وجسر
(كوبرى) على نهر ليفى ، تظهر أسوار الجسر
الى اليمين واليسار بحيث يشغل الجسر معظم
المنظر الذى أمام المشاهد . يؤدى الطرف البعيد
للجسر الى شارع يمتد الى نقطة فى أقصى البعد ،
وعلى يمين هذا الشارع ويساره بيوت مرتفعة
حائلة اللون تحفل بحركة مشبوهة وتجمعات
من كل أنواع الرجال والنساء تعمل الحفر فيها
باحثة فى حزن عن هاوى . وهذه البيوت تقوم
على طول شارع آخر مواز للنهر . على البعد
حيث ينتهى الشارع الممتد من الجسر والى اليمين
يقوم برج كنيسة فضى مستدق الطرف . والى
اليسار عمود نلسون التذكارى الأحمر القانى
مشرئبا الى السماء وفى طرفه نلسون ، وقد بدا
أسود فاحما يشرف على كل شىء يجرى من
حوله . سماء رمادية حزينة تظلل المنظر .
وبدا تتكون ألوانه من البيوت الداكنة وأسوار
الجسر السمراء والسماء الرمادية والبرج الفضى
والعمود وتمثال نلسون الأسود .

يشاهد على أحد سورى الجسر عدد من
الرجال الذين شوهلوا فى المنظر السابق
تجتمعين معا ، وقد اختفت وجوههم الخالية من
التعبير منحنية نحو صدورهم ، بعضهم يجلس
على الأسوار والبعض يستند الى جدران البيوت
الحائلة عند زاوية الشارع الممتد من الجسر .
وفى أحد الأركان يستند أحد الرجال متعبا
الى السور وهو منكس الرأس يتدلى من فمه
غليون غير مشتعل يظهر أنه نسيه . الشمس
طالعة على العمود وبرج الكنيسة ولكن لا أثر
لها حيث يقف هؤلاء الناس .

على الرصيف المقابل لمكان جلوس الرجال
وفى الطرف القريب للجسر تجلس أيدا وديمينا
وفينولا فى ملابس سوداء حتى ليلبدو أنهن
متشحات بسواد ليل مظلم . أمام ايدا سلة
كالحة اللون بها بعض الكعك والتفاح الذى مضى
عليه فيها وقت طويل قلق وأمام ديمينا سلة
أصغر بها زهور ذابلة ، وفى يدها المرتعشة
تتلى حزمة من زهور البنفسج الداوية .

ايدا : (فى شبه نعاس) هذه السماء الاسفنجية
الرصاصية هى دبلن ؛ وهذه البيوت التى تشبه
القبور هى دبلن أيضا . . جسد دبلن الأجرب . .

• ونحن روح دبلن الفضية • (تبصق بقوة في الشارع)
• وهذا ماتعتقد أيدا عن روح المدينة وجسدها !!

ديمينا : أنت أكثر من محقة ، ولكنى لا أحب أن أبالغ فى
العنف • (تنادى وكأنما تتغنى) هنا البنفسج •
الحزمة بينسين فقط • الحزمة بينسين • البنفسج
الطازج •

ايدا : (تنادى متغنية) التفاح والكعك • بنسان فقط
لكل كعكة • التفاح الناضج بينس الواحدة •

ديمينا : الشمس بعيدة دائما والغبرة القزسة هنا دائما •
فينولا : السماء الداكنة تظللنا الى الأبد مشتتة كل فرصة
للانتعاش تقبل متخاذلة لانجادنا •

ايدا : هذه هى دبلن يافينولا والسماء التى تظلمها •
نخوض فى الأبدى كالوحدل تحت أقدامنا يضرب فى
كعوبنا ، يغذيه الرذاذ الدائم من فوق رؤوسنا •
ديمينا : مقبرة كل الأموات فيها فوق سطح الأرض •

ايدا : دون بارقة من الراحة تبعث فيهم الأمل • وهى
شامخة برأسها حتى لتبدو وسط المدائن الأخرى
كمملكة وسط الحاشية ، محملة بالعلم ، فوارة بسير
عظماء الرجال ، جديرة بأن ترهب كل من يعيشون
وراء البحر المالح تحت شمس أخرى فى النهار وقمر
آخر فى الليل •

(يغشاهن الناس وروسهن منكسة)

الرجل الأول : (المتكىء فى تهالك على السور) سيكسب
ذكر الأوز الذهبى (اسم حصان) اذا صحت نبوءتى
(يرفع صوته قليلا) سيمرق متخطيا علامة النهاية
كالسهم من القوس فى بطولة سباق الخمسمائة جنيه .

الرجل الثانى : (يعترض فى نعاس) أراهن على ذلك
برقبتى . قد تكون له فرصة لو كانت نزهة .
سنتركه الأوزة النحاسية (اسم فرس) واقفا اذا
صحت نبوءتى أنا .

ايدا : (تصحو قليلا) نبوءات ؟ هل تخدعنى أذناى أم
اننى سمعت أحدا يقول نبوءات ؟

ديمينا : سمعت لغطا عنها يا ايدا ، وانها لكلمة ثقيلة على
السمع تذكرنا بحالتنا المتدهورة فى ظرئنا الحاضر .
فالأنبياء الذين كانوا عندنا يوما ما قد اختفوا فى
غامض علم الله الآن ، ولاعجب فنحن نمر بهم مر
الكرام ، والله فى غضبه الكريم يرينا ما الذى نجنيه
من الشباب العائد الى الوطن: أغان وملابس عسكرية،
واطمئنان معدوم .

فينولا : (تهز رأسها أسفاً) شمعة موشاة بالذهب بيضاء
كالثلج ، هكذا كانت دبلن يوما ما . ولكنها أضحت
صفراء مترنحة تتهاوى الى ريشة مرتعشة فى مهب
رياح الحياة .

أيذا : على أى حال مازالت عندنا بيرة جينيس تمنحنا بارقة
مشتهاة من حياة أفضل ، ساعة أو بعض ساعة .
ليلة السبت • ولو أننى أرفع يدي ممتدحة وضع
قيثارة بريان بوراس الذهبية على كل زجاجة نبىذ
سوداء صنعت لتعطى الأجانب انطباعا رائفا عن
عجبنا بذكريات ماضينا الرطبية الباسلة .

**(يظهر القسيس ومفتش البوليس فى الطرف
البعيد من الجسر ويسيران عليه نحو الرجال
والنساء • القسيس يرتدى زيا أسود وقبعة
لامعة طويلة ويده عصا • وقد خلع معطفه
ولكنه احتفظ بالكوفية الخضراء حول رقبته •
المفتش يرتدى زيا رسميا أزرق بشرائط فضية
على كتفيه ووشى فضى على الياقة واساور
الأكمام ، وخوذة كبيرة زرقاء طرفاها الأمامى
والخلفى ذوا حافة فضية ، وفى راسه مدبب
فى أعلاها ريشة جميلة قرمزية ، وفى مقدمتها
تاج فضى كبير مستقر على دائرة من القطيفة
الحمراء • يتدلى من جانبه سيف فى قراب
فضى • فى قدميه حذاء طويل شديد اللمعان •
يقفان على الجسر فينظر القسيس عبر السور
شاردا الى النهر الجارى) •**

المفتش : كانت حفلة زفاف عظيمة ياسيدى • عريس جميل
وعروس أنيقة وجماعة من الصفوة ، وقد وفى الأسقف
المناسبة العظيمة حقها فى خطابه الرائع ياسيدى •

وكان ختاماً مناسباً له أيضاً عزف « الصوت الذى
خفق على جنة عدن » على الأرغن .

القسيس : (بعدم اهتمام واضح) أوه نعم نعم . تماماً .
المفتش : حى تاريخى هذا الذى حولنا : كان مقر قيادة أحد
فيالق المتطوعين أيام جراتان . . . ليس معنى هذا
بالطبع أننى أتفق مع جراتان . . . كان أحد أجداد
جدى من ضباطه .

القسيس : أوه نعم . أهذا حق ؟

المفتش : نعم . كان يرتدى زياً رسمياً غريباً . : شديد
السواد بسجافات من الأزرق السماوى وصدر أصفر
مخطط بأشرطة حمراء ، وعلى الرأس خوذة فضية
ضخمة تطل عليها من الجانب الأيمن ريشة صفراء .

القسيس : (مبتسماً) ان زيك ليس رديئاً يا مستر
تشبرشواردن .

المفتش : أنيق . ولكنه غامض جداً على ما أظن يا سيدى .

ايدا : (وهى تعوى فى اتجاههما) بينس واحد فقط :
التفاح الوردى ، جميل للنصابين . . . ياإلهى ، ماذا
أقول ؟ جميل للسادة الصغار والسيدات الصغيرات ،
عظيم فى بيوتهم ذات القناديل والسجود . . . أو كعكة
. . . بينسين فقط الواحدة . . . رقيقة التحويج ،
لذيذة الطعم .

ديمينا : (تعوى فى اتجاههما) بنسان هنا لحزمة البنفسج
... مناسبة فى اللون لشوب سيدتنا العذراء
الكشميرى الأبيض النقى .

ايدا : (مستعيذة) ماذا تقولين يا امرأة ؟ هذا فسييس
بروتستانتى وسيد حق ياديمينا .

ديمينا : سها ذهنى لحظة . ولكنه سيشفق بنا وينظم حياتنا
بما يجعل فنجانا فجائيا من الشاى فى متناول أيدينا .

ايدا : هنا التفاح . . . بينس الواحدة . . . تفاح وردى . .
مقطوف منذ ساعة فقط من شجرة محملة . كعك
بينسين فقط . . . مخبوز على الحشاش المعطرة حين
خطا الفجر على ظهور جبال دبلن المتشحة بالزرقة .

ديمينا : بينسين الحزمة . . . البنفسج . . . خجول سكران
بندى الصباح ، مشتاق لأن يرقد فى صدر أبيض
لسيدة كريمة المحتد . . . أو مناسب لعروة سترة
سيد أصيل فى يوم أحد .

(يخرج القسيس بعض العملة من جيبه ويرمى
بها الى النسوة فيلتقطنها ويعدن المصمت) .

المفتش : وسويقت كذلك ، لابد أنه تجول هنا وأشواك
تاج الجنون تضغط متغلغلة فى مخه .

القسيس : (يشير الى الرجال والنساء) من هؤلاء ؟

المفتش : (بلا أكثرات) هؤلاء ؟ أوه ، سقط « ولقط » ربما
نفر من الخطرين في الليل الذين لا ضرر لهم في
النهار .

القسيس : قرأت أن عشرات الألوف من أمثال هؤلاء ساروا
وراء سويقت حتى مثواه الأخير .

المفتش : أحفا يا سيدي ؟ رجل عجيب . . . القمص المسكين
الذي أصابه الجنون . . . رجل عجيب حقا .

(أحد المتسكعين الناعسين يكبح فجأة ويتنحج
ويطلق بصقة كبيرة على إحدى فردي حذاء
المفتش اللامعتين ثم يستغرق في النوم مرة
أخرى) .

المفتش : (وهو يقفز للخلف بصرخة غاضبة) ماذا تفعل
بحق جهنم أيها الضب المتعفن . انظر الى مافعلته
أيها الفأر الأجرب .

(يمسك بالرجل ويهزه بعنف) :

الرجل الثاني : (غاضبا في نعاس) أنت هنباك . أي
جهنم ؟

المفتش : (بغضب شديد) بصقت على حذائي أيها الضفدع
البشع . . حذائي . . حذاء . . حذاء !!

الرجل الثاني : (في ذعر وارتباك) حذاء يا سيدي ؟ أهو
أنا ياسيدي ؟ لست أنا ياسيدي لابد أنه شخص
آخر ياسيدي .

المفتش : (يهزه بعنف) أنت ؛ أنت ؛ أنت ، أنت !!

الرجل الثانى : أنا ياسيدى ؟ لم أبصق فى الطريق أبدا
طول حياتى ياسيدى • أنت مخطيء ياسيدى • لا بد
أنه شخص آخر •

القسيس : يا جناب المفتش فينجلاس ، تذكر أنك ترتدى
الزى الملكى • اهدأ ، اهدأ يارجل •

المفتش : (هابطا) معذرة أفلت زمامى • أنا أكثر تعودا
على ضربة بحجر من بصقة قذرة على خدائى •

القسيس : (يرتعش قليلا) فلنمض من هنا • كل شيء هنا
يفزعنى اذ يبدو أنهم ينظرون باستغراب الى ماعلىنا
من مظاهر الاطمئنان والدعة •

المفتش : يفزعك ؟ كلام فارغ • • وأنت معى !!

القسيس : الأشياء هنا من مادة لا أجرؤ على التفكير فيها ،
فضلا عن أن أراها وألمسها • هنا أكاد لا أقوى على
النظر الى الشيء الواحد مرتين •

المفتش : ها أنت • وكما قلت مرارا وتكرارا ، ان برايدون
ليس الا طينة من نفس العجينة •

القسيس : أنت تظلم نفسك اذ تقول هذا : أيامون برايدون
يملك بين جوانحه مملكة السماء (يسكت) وفى
الحقيقة يجب أن نبتعد عن هذه الأشياء المحزنة •

(يخرجان)

أيدي : (وهى تفكر فى النقود التى أعطيت لها) قطعتان
ضئيلتان من ذوات الستة بنسات ٠٠٠ أربعة بنسات
لكل رأس . طيب ٠ الشحاذون ليس لهم الخيار .
ولكن أليست حياة صعبة أن نطحن أعجازنا البائسة
حتى تصبح رمادا ، بجلوسنا طول العمر على أرصفة
شوارع دبلن التى لاترق ولا ترحم !!

ديهمنا : آه . ما الأمر كله بالنسبة إلينا إلا قدر مكتوب
بالبؤس منذ الأزل :

سماء معتمة فوق رؤوسنا ، شوارع مغبرة تحت
أرجلنا ، ونهر ليفى الأسود المر يجرى خلال هذا
كله .

أيدي : (منتحبة) لقد سقطنا فى هاوية العدم . كنت
صغيرة حين كانت كل أمسية هادئة تحمل فى صدرها
جوهرة من البهجة . كنت اذ ذاك أتعذب فرحا وأنا
أتأهب لجولة فى الشوارع المزدحمة ؛ أختار ذراع
فارس من فيلق الخيالة السادس عشر بثوبه القرمزى
الأسود الصدر الذى يسر الناظرين، والريشة السوداء
المتدللية من خوذته العالية ، أم أتخذ رفيقى واحدا من
حرس البرنس أوف ويلز الخاص ذى صدر أحمر
وريشة حمراء فى قبعته كأنها لهب مشتعل فوق
رأسه .

ديمبنا : كان لى واحد من فرقة الحياالة الملكية الخاصة الخامسة
عشرة يا ايدا بسـترته الزرقاء الغامقة وأشرطتها
الصفراء ، وشريطين أصفرين على جانبيه بنطلونه ،
وريشة حمراء ترقص فوق خوذته •

ايدا : كنت أهوى الرماة ياديمبنا •

ديمبنا : وأنا كنت أهوى الفرسان يا ايدا •

ايدا : وماذا لك أنت يافينولا ؟

فينولا : ما الذى يمكن لفتاة ولدت فى واد قفر من وديان
كورك تحوطه الجبال ، وربيت على أن تتغنى بأغاني
آبائها ؛ ما الذى يمكن لها أن تختاره غير الرداء المرقع
والخذاء البالى والوجه الأبيض الجائع للثائر الايرلندى؟
غير أن رثائتهم كانت نوشيها ألوان من ثياب فين
مك كول ذى الشعر الذهبى ، وجوك ماك مورنا ذى
الضربات الساحقة ، وكاويلت ذى الأقدام الطائرة ،
وأوسكار ذى الرمح الذى لا يكسر •

ايدا : (تغمز ديمبنا) كان هذا فى زمن مضى اذا شئت
رأبى •

(يسمع هتاف على البعد فيه رجع التحدى
والثقة ولو أن صده لا يصل الا الى الجسى •

ديهمنا : (ناعسة ولكنها ترفع رأسها قليلا لتسمع) ماهذا ؟
هتاف ؟ (نطاطيء رأسها ثانية) أنا أكره صوت
التهتاف .

(تدخل مجموعة من العمال مهتاجين يتحدثون
معا بصوت مرتفع)

العامل الأول : (تغلبه الحماسة) عمال الميناء معنا الى آخر
رجل ، وسائقو النقل كذلك . سيحضرون اجتماعنا
كلهم .

العامل الثانى : بموسيقاهم وبيارقهم .

العامل الثالث : (فى خوف) هل يستدعون الجنود ياترى ؟

العامل الأول : (بصوت مرتفع متحد) فليفعلوا . سنواجههم .

العامل الثالث : (فى شك) ماذا ؟ أنواجه الحياالة وطلقات
رصاصهم ؟

العامل الثانى : نعم ، بل الخيل والمشاة والمدفعية ؛ ماذا
يهم ؟

العامل الثالث : اذا خرج الجنود فان الشرطة سوف يتشددون
اعتمادا على القوة التى تظاهروهم .

العامل الثانى : ولو فعلوا هذا فماذا يهم ؟

العامل الثالث : (متضايقا يكاد يصيح) يبدو أن لاشئ
يهمكما أنتما الاثنين .

(يسمع صدى هتافات متعالية)

العامل الأول : (فى غاية الحماسة) أسمعتم هذا ؟ ان أيامون
يشير الحى الواقع الى الغرب من مكان وقوفنا هذا .

(صدى هتاف آخر يأتى من وراء الجسر)

العامل الثانى : (وقد غلبته الحماسة) أسمعتم هذا ؟ ان ميك
يشير سكان الشوارع التى حول نهاية الجسر .

العامل الاول : هبنا يا أولاد . لدينا عمل يجب أن نؤديه
قبل أن يبدأ الاجتماع الحقيقى .

(يخرج عن طريق الجسر)

العامل الثانى : سوف نترنم بأغاني الموت لبعضهم لو حاولوا
ان يمنعونا الآن .

(يسرعون بالخروج . يقدم برينان متمهلا من
الطرف البعيد للجسر وهو يعزف على أرغنه).

برينان : (بطمئن نفسه) مساء الخير أيتها السيدات والسادة .
تزدهر الأشياء الطيبة عندما تحنو الشمس .

(لا يابه أحد لما يقول . يبدأ فى الغناء بصوت
كان رخيفا فيما مضى ولكنه يح بفعل الشيخوخة.
يتحشرج بين آن وآخر عند النغمات العالية) .

تمشيت مع فتاة حسناء الى أقاصى الريف وجميع
الأزهار من حولنا تصرخ فى طلب الندى .

وعلى مقعد بنفسجي الكسوة جلست مطمئنا الى جوارها
وشمرت أكمامي لأربط لها حذاءها •

وما الذى يهم أى انسان فى هذا ، حدث أو لم يحدث ،
مادمت قد تقدمت حين أتاحت لى الفرصة ؟

أغمضت عينيها بشلة وهى تمرمر فى همس خفيض •
تكرم يا عزيزى واربط لى حذائى •

ايلا : (تدمدم فى غضب) أليس هذا فاضحا الآن فى مثل
هذا اليوم وفى ساعة الجد ؟

الرجل الأول : (يصحو فجأة) تزعجون أحلامي عن ذكر
الأوز الذهبى وهو يجرى ليكسب السباق !!

بريثان : (يغنى) :

نشرت علينا العضاة كل شذاها •

وحيت زهور الخشخاش الحمر حيثما نبتت

ذلك الجهد السعيد الذى اختال أمام عيني

حين شمرت أكمامي لأربط لها حذاءها •

وما الذى يهم أى انسان فى هذا ، حدث أو لم يحدث ،

تعلمت فى تلك اللحظة أكثر بكثير مما كنت أعرف

عندما رفعت ثوبها فى خفر وتباطؤ

وشمرت أكمامي لأربط لها حذاءها •

كانت التلال العشوشية ترقص من حولنا
وتحولت كل الأشياء الزائفة في الدنيا الى حقائق
عندما أحاطتني بذراعتها وقبلتني وهمست :
ربطت حدائي بدقة ورقة .

وما الذى يهم أى انسان فى هذا ، حدث أو لم يحدث ،
اجترأت معابثا على أن أراى خافية الأمر .
عندما رفعت ثوبها فى صمت وتباطؤ
وشمرت أكمامي لأربط لها حذاءها .

(تلقى بضع بنسات من نوافذ المنازل .
يلتقطها برينان ويخلع قبعة رثة عريضة
العانة ويلوح بها منحيا . أثناء غناء المقطع
الآخر يدخل ايامون ورورى ويصفيان اليه
وهو يغنى مستندين الى سور الجسر . يظلم
المنظر أثناء الغناء حيث تبدأ الشمس فى
الغروب) .

الرجل الثانى : (يصحو فجأة) ابتعد أيها العجوز ، أنت
بحاول أن تحول أفكارنا عن الطريق الذى نحن
فيه ، وعن الأمل الخابى الذى نتطلع اليه .

الرجل الاول : (يصحوا غاضبا) امض من هنا الى جهنم
بأغانيك المشبطة التى تغرى بالخمول .

ايضا : كان ينبغى أن توطن روحك فى مثل هذا السن ،

بدلاً من أن تترنم بالاناشيد ، على الطريقة التي
تخشى بها ما قد يصيبك في ظلام الليل وأنت مجرد
حى من سيف بجانبك .

الرجل الثالث : أغرب أنت وأغانيك الحارة الى بلاد
اشتهرت بالجهل والعار .

فينولا : اذهب الى حيث النساء الخليعات كثرات
قادات على أن يفتحن أكياسهن الأرجوانية
ليمطرنك بالعملة الالامعة .

(برينان يعيد أرغنه الى ظهره وقبعته الى راسه
ويتخذ طريقه عبر الجسر) .

رورى : (أثناء مروره) اليس عجبا أنك لا تفنى الآن
أغنية ايرلندية خالية من المآخذ ، بدلاً من تلك
المشبعة بمبازل اللهو الأجنبية ؟

(برينان لا يلتفت اليه بل يعبر الجسر ويخرج .
يبدأ الرجال والنساء فى الاستغراق فى النوم
مرة اخرى) .

ايامون : دعه فى حاله يا رجل . لقد أجاد غناء أغنية
مطربة . وكان ينبغى أن يلقي تحية أفضل .

رورى : (غير ملتفت لملاحظة أيامون - مخاطباً الرجال
والنساء) لماذا لم تمنعوه قبل أن يبدأ ؟ الوقت
وقت « جوهرة الصدور البيض » أو أنشودة

المعركة فى مانستر التى نشعل فىكم نار الحرب
التى استقرت فى قلب « كون » صاحب المعارك
المائة . كان حارس تارا ، وكانت يده تضرب فى
أعماق الأنهار وتحلق فوق أعالى التلال لتمسك
بخصاق جيش من الأعداء الأشداء فتجره مرتجفا
من مخابئه . كان قائدا لجيش « ماج فيمون »
وحامى مونيماوى وبطل نهرنا « ليفى » الذى يجرى
خلال مدينة كانت كئوس الشراب فيها يوما ما من
الذهب ، قبل أن يحمله حكماؤنا مع الطيب
والأفاويه الى « بيت لحم » المنورة .

ايدا : (وقد غلبها النوم - تتمم بصوت خفيض) ارحل
أنت أيضا بذكرياتك الثرثرة عن مجانين الحرب من
المقاتلين الذين دفنوا فى أعماق سحيقة لا تصل اليهم
الكلمات . بينس الواحدة . . هنا التفاح الناضج .

ديمينا : (فى نوم بصوت خفيض) ارحل ودعنا نستغرق
فى النوم لنلتمس كسرة خبز جافة فى دنيا الهدوء
المظلمة . بينسين حزمة البنفسج الطازج .

فينولا : (فى نوم) اجر يابنى الى حيث لا تستطيع العيون
البراقة أن ترى الخوف ، وتتوق الأيدى البيضاء
الخاملة لأن تعلق سيفا فى جنب أحد الشباب .

الرجل الاول : (بزمجرة نائم) اذهب الى جهنم حيث
تجد الحياة الناعمة متسعا تتحرك فيه وساعات

فراغ تزجيه ، حيث تختلط انغام الشتاء الأبيض
بألوان الظلال . . الوقت ثمين هنا .

الرجل الثانى والثالث : (معا يدمدمان) الوقت ثمين هنا .

ايمون : استيقظوا . اننا نمسك مدينة بأيدينا !!

ايدا : (بصوت خفيض جدا فيه مرارة) انها مدينة مرة .

ديمبنا : (بنفس اللهجة) انها مدينة سوداء مرة .

فينولا : (بنفس اللهجة) انها مدينة سوداء مرة .

الرجل الأول : كبغى شعشاء مقهورة ابتليت بطول العمر .

الرجل الثانى : وأصبحت أبوابها الثلاثة قلاعا للفقير
والندم والألم .

ايمون : انها على ما صنعتها أيدينا . نحن نصلى كثيرا

ونعمل قليلا . لقد تشابكت أمجادها فى نسيج

سميك من الدناءة والحقد والأوضاع المبتذلة ؛

ولكن هذه الأمجاد لا تزال قائمة يراها كل ذى

عينين مفتوحتين .

ايدا : (فى مرارة بصوت خفيض) املا يدك من أمجادها

اذن ، فلن يطول بقاؤها مع مناهضتك لأولئك الذين

يمسكون بزمام المملكة ويسوسون السلطة .

ديمبنا : (معاتبة) انه حسن القصد يا ايدا ، وهو عليم

بأشياء تخفى علينا ، ونحن نعرف أن قدمى أمه

المسكينة العجوز الضعيفتين طالما شققتا طريقهما
الى معظم بيوتنا المتداعية لتوفر لنا من أسباب
الراحة ما هى نفسها محتاجة اليه بشكل محزن .

ايدا : (بطريقة فيها بعض الحيوية) أو لست أعلم هذا
حق العلم !! انها أخت مسكينة لا تتوقف عن
المساعدة ، عميت عن نفسها لفرط ما أبصرت من
حاجات غيرها . لسوف يقلق الخير عندما يغيب
عن ناظره .

فينولا : انها بلامحها المكدودة ووجهها المتفضن شمعة
بيضاء طاهرة يباركها فى هذه اللحظة القديس
كولكل الوديع ، أو ايدان الراكع على عتبة الجنة ؛
أو لوزيرنا ذات الصوت الفضى والشياب الثلجية .
فلتكن عباءة بريجيد الزرقاء راية تخفق فوق رأسها
الى الأبد .

المرأتان الأخريان : (معا) آمين .

رورى : (وقد نفذ صبره) انا نضيع وقتنا هنا . .
هيا بنا .

ايامون : اهدا يا رجل . كانت « على وجه القمر ظلمة
وروح الله يرف على وجه المياه » .

رورى : لا شئ يرف هنا غير البؤس . ان قصف البنادق
وترديد الشعار هما الشيطان الوحيدان اللذان

يفزعانهما . لا فائدة لوجودنا هنا . أنا ذاهب اذا
كنت تريد البقاء .

أيامون : انتظر لحظة يا رورى . ما من أحد يعرف ما قد
تجلبه كلمة . سقطت الأوراق والزهور ولكن
الشجرة لم تمت .

رورى : (بحرارة) أو تظن أن التحدث مع هذه الأشباح
الرثة المتذلة سيعيد رحمة الله أو جماله الى
كاثلين فى هوليهان ؟ .

أيامون : رورى . رورى . ان كاثلين نى هوليهان التى
تتحدث عنها لها ظهر امرأة عجوز مقوس كما ان لها
مشية الملكة . نحن نحب كاثلين نى هوليهان المثالية
لأنها زائفة بل لأنها جميلة . ونحن نكره كاثلين نى
هوليهان الحقيقية لا لأنها صادقة بل لأنها قبيحة .

رورى : (باشمئزاز) أوه . بالله عليك يا رجل .

(يخرج بسرعة غاضبا)

ايدا : (تنادى وراءه باحتقار) عجل الله بك يا «أزعر» .

أيامون : (واضعا يده برفق على رأس ايدا) فلننسه
ولنذكر أنفسنا ولنفكر فيما نستطيع أن نفعله
لتنزع الراية من سفاسف الماضى ونرفعها على
مطالب الحاضر وحاجاته .

(المنظر الآن أصبح مظلمًا بحيث تبدو الأشياء
غير واضحة فيما عدا البرج القمبي والعمود
القمبي البعدين . وتبدو رأس أيامون في
شعاع من الشمس وكأنها رأس «دن - بو»
المقطوعة تتكلم من خلال الظلام) .

فينولا : ان أغاني أوشين وسيف أوسكار لن تستطيع أن
تفعل شيئًا لحمل هذه المدينة على التخلص من
عارها .

أيامون : باسديقتي قد نفعل هذا لتعيشي حياة أفضل .
سنفعله ليعيش كل واحد منا حياة أفضل . ان
اضربنا لك أنت . خطوة الى الامام لنا اليوم .
وأخري لك غدا . نحن الذين عرفنا ونعرف نفاحة
الحياة سنعرف كماتها . ان كل الرجال والنساء
الذين يستشعرون الحياة . . يشوقهم أن يفتحهم
طريقهم الى الامام .

(الى ايدا) ان التفاحة تنمو من أجلك لتأكلها .
(الى ديمينا) والبنفسج ينمو من أجلك لللبسيه .
(الى فينولا) أيتها الفتاة الصغيرة ، ان عالما آخر
في رحمك .

ايدا : (ببقية من الاكتئاب) سيلاحقنا الجنود بنار البنادق
ويطير الشرطة رءوسنا بهراواتهم ، ويساق أبناؤنا
وأزواجنا سريعا الى السجن ليستفرغوا أنفاس

حياتهم فى أماكن أكثر كثافة من تلك التى يعيشون فيها الآن .

أيامون : لا تجفلى من أول بادرة للمعركة . (يحول نظره عنهم ويحملك ساهما فى اتجاه النهر) استمدى القوة من روعة مدينتك الخفية (يشير بيده) أراه . انظرى انظرى هناك . لقد أسدلت السماء رداء اخضر لامعا على كتفيها العاريتين ، مطرزا بالقرمز . والقت على رأسها الجميل غطاء رقيق الحمرة .. انظرى .

(المنظر قد التمع وتنعكس عليهم ألوان زاهية جميلة من أشعة الشمس الغاربة . البيوت الواقعة على شط النهر البعيد تميل نحو العالم المتطور وقد اصطبغت باللونين البنفسجى والبرنزى اللامع ، والرجال الذين كانوا مستندين الى جدرانها يقفون الآن فى شجاعة وكأنهم تماثيل جميلة من البرنز نقشت بالقرمز) .

أيامون : انظرى . ان العربات والشاحنات التى تتحرك عبر الأرض قد صبغتها الشمس بالبرونز والأرجوان فبدت كعربات الحرب تتقدم صوب الحبهة .

(أيذا تقف فى الضوء فيبدو وجهها صبوحا شجاعا وهى ترتدى ثوبا اخضر غامقا وعباءة فضية على كتفيها) .

ايدا : (ناظرة بانتباه امامها) خجولة جميلة ، كما أنها تتأهب للمعركة .

(تقف ديمبنا الآن لتنظر حيث يشير ايامون .
تلبس كملايس ايدا ووجهها مشرق . ينزل
الرجال من فوق اسوار الجسر كذلك لينظروا
حيث يشير ايامون ، وجوههم مشرقة كوجوه
النساء ، وكانهم تماثيل برنز خطت بالأخضر
الزاهي . تقف فينولا أخيرا وداء الآخرين
بقليل لتشاهد المدينة في سيفونية الوانها .
فينولا تلبس داء أخضر أزهي مما ترتديه
صاحبها ، وجونلة بيضاء مخططة بالأسود
وحول وسطها كوفية فضية مسدلة)

فينولا : انها تلمع كأغنية ينشدها أوشين بنفسه بمصاحبة
الأنغام الذهبية المتصاعدة من قينارة !!

الرجل الأول : (متحيرا) لابد أن شيئا عجيبا قد حدث
لأنى ، وأشهد الله ؛ ما رأيته مشرقة على هذا النحو
من قبل أبدا .

الرجل الثانى : أنظر الى المتسكعين هناك وقد تحولوا الى
رجال أقوياء من البرنز ، والبيوت نفسها تمرح فى
الأرجوان والفضة .

الرجل الثالث : ان رءوسنا المنكسة لم تكن تلمح على الدوام
الا مستوى أدنى من هذا بكثير .

أيامون : هناك قبة القاعات الأربع العظيمة تبدو كوردة ذهبية في وعاء هائل من البرنز !! والنهر يجري من تحتها كفيض من الأرجوان يرصعه حبيب «من القرمز» .
انظروا طيور النورس تسبح من فوقها وكأنها لآلئ قلقة بيضاء تتهاذى فوق صدر ملكى . ان مدينتنا فى يد الرحمن !!

الرجل الأول : (بانفعال) يا الله . . انها رائعة !!
أيذا : فليبارك الله مدينتنا الى أبد الآبدين .

أيامون : (يرفع يده اليمنى عاليا) يا أوطان الاوستمن والنورمان والغال ، انا نحيك . نحيك اذ تختلسين لحظة عابرة من الجمال فتضميها بشغف الى صدرك اللاهث . (يغنى) :

أيتها المدينة الجميلة ، أقول لك ان أرواحنا لن تنام
فى سر الطمع أو الكسب الدافئة .
وان أيدينا ستمتد باذلة أقصى الجهد ،
حتى يسود فيك العجب والجمال

الجميع : (يغنون معا) :

نقسم أن نخلصك من الغضب والحسد ،

وأن نطرد الذئب المفترس والشعلب اجاكر خارج أسوارك،
حتى يقول الحكماء والسيدات والعذارى يا مدينة
الروعة ؛ ما أسعد حظك !!

أيامون - (يغنى) أيتها المدينة الجميلة أقول لك

أن ضحكات الأطفال البيضاء وكل المرح الأحمر
للشباب الجاد وقد غمرته المسرة ستجعل من دورك
قيثارا وحشيا أبدى الأنغام تداعب أوتاره أنامل
عاجلة لأطفال يمرحون .

الجميع : (يغنون) :

نقسم أن نخلصك من الجوع والعناء ،
ومن كل شيء قبيح متبذل حقير .
وسيبني شعبك باتحاده مدينة باسلة
هي أروع وأجمل ما رآته عين انسان .

(فينولا كانت تتمايل بجسدها مع ايقاع الأغنية
والآن وبمجرد انتهاء الجزء الأخير تنطلق الى
وسط الجسر وهي ترقص . اللحن يسمع من
ناى يعزفه شخص ما فى مكان ما وهو لحن
راقص وقور بهيج يبدأ بطيئا ثم يسرع .
يرقص ايامون حتى يقابلها فيرقصان وجهها
لوجه . الموجودون حولهما يصفقون على وقع
اقدامهما . يتجولان فى المكان وهما يرقصان،
هى سابحة فى بركة ذهبية من النور ، وهو
فى ظل بنفسجى ، كل حين وآخر يتبادلان
مكانيهما فتصير هى فى البنفسج وهو فى
بركة الذهب) .

ايلا : (بصوت مرتفع) ان أبهج الألوان التى خلقها الله
تحيط بنا الآن من كل جانب .

فينولا : (وهى ترقص) ان سيف النور يلمع !!
الرجل الأول : (فى حماسة) نحن جميعا أبناء وبنات
أمرء • وكلنا من نسل مايليزيوس (*) •

(ينتهى الرقص وايامون وفينولا يحوط كل
منهما الآخر بذراعه)

ايدا : الحمد لله على نزعة الفرح فى قلب الشباب •
الرجل الأول : وعلى سرعة الساق والقدم فى قلب الرقصة •
الرجل الثانى : وعلى الحلم بأن يد الله لا تزال تقبض على
كل شىء باحكام •

(يظلم المنظر قليلا • ايامون يخفف امساكه
بفينولا ويرفع راسه ليصفى الى شىء ما ،
يسمع على البعد صوت اقدام كثيرة فى خطوة
منتظمة) •

فينولا : (فى شىء من القلق) ما الذى تصغى اليه ؟
ايامون : يجب أن أذهب • وداعا يا فتاتى الجميلة • وداعا •
فينولا : أذهب أنت مبتعدا عن الأشياء الجميلة التى تلتهم
من حولنا ؟ ألسنت أنا مقبولة الى الحد الذى يناسبك ؟
ايامون : (جادا) أنت جميلة حين تظلين هادئة ••
وتفيضين بجمال أقوى حين ترقصين ، غير أنى لابد أن

(*) Milesius اسم أسطورى لملك من ملوك اسبانيا ينسب الى ابنائه
أنهم غزوا ايرلندا حوالى سنة ١٣٠٠ قبل الميلاد •

أذهب . أتمنى أن تتزوجى زيجة موفقة وأن تنجبى
أطفالا فيهم من الجمال ما كان لا يمر . . ومن الرقة
ما كان لابن أوسكار . وأتمنى أن يكونوا شبابا عندما
ترغى البيرة الأسبانية على كل يد ، ويصبح نبذ البابا
الملكى شرابا شائعا . وداعا .

(يقبلها ثم يذهب عبر الجسر ويختفى عن
النظر عند شاطئ النهر البعيد . الأشباح
الباقية تتضاءل قليلا . الألوان خبت بقدر
كبير . ويبدو على الجميع القلق والحيرة .
يعود المتسكعون الى جدران البيوت ، ومع انهم
يضطجعون عليها فانهم يقفون بجانبها كما لو
كانوا يتخلونها وقاية، سكوت طويل نوعا قبل
ان يتكلم احد . يقفون متفرجين كما لو كانوا
خجلين من صحة كل منهم للآخر) .

ايدا : (تدمدم) الواحدة ببس . . . التفاح الناضج . من
الذى تكلم هذه المرة ؟ وحق المسيح لا بد أنى كنت
أحلم .

ديمينا : (فى صوت مرتبك) وأنا كذلك ، حسبت نفسى
غارقة فى عاصفة من المرح ومن مختلف الألوان وقد
تزينت بأفخر الثياب .

فينولا : (متحيرة حاملة) لا بد أنى كنت أحلم حين سمعت
كلمات غريبة فى مدينة تكاد النجوم تتخمرها ، ويد الله

تهدينا سبيلنا على شاطئ نهر أرجواني ، وكلنا نرتدى
ثيابا جديدة ، قادرين على أن نستخف أوشين ليغنى
أنشودة عريضة لرقصة تخفى خطاها عن العيون .

ايدا : (تدمدم فى ضجر) أستحلفك بالله ان تنتهى من
التفكير فى الأغاني القديمة التى غناها أوشين كما لو
كنت تشعلين نار المجد حول عصفور على حافة بركة ،
يغرد بصوت مبحوح فى زاوية آمنة من شارع تعصف
فيه الريح (وقد غلبها النوم) هنا البنفسج الندى .
الحزمة بينسين فقط . . . يا الهى . . . أقصد التفاح .

(الآن يسمع وقع الخطوات المنتظمة بوضوح) .

ديمينا : (متيقظة قليلا) بينسين الواحد . . . حزمة
البنفسج . . . ماذا يمكن أن يكون هذا ؟

الرجل الأول : (باكتئاب ولكن بنبرة تحد) صوت أقدام
الجنود السائرين ليمنعوا اجتماعنا ويوقفوا اضرابنا .

الرجل الثانى : (فى عزم مفاجئ) سننفذ الاثنين على
الرغم منهم .

(يشهد ظلام المنظر الآن . سكوت بعد كلمة
الرجل الثانى لا يسمع فيه الا صوت الأقدام
ثم فى خلال هذا الصوت المنذر تسمع أصوات
تغنى بهدوء ، قد تكون أصوات أولئك الذين
على الجسر أو حوله أو أناس آخرون يغنون
فى مكان أبعد قليلا) .

الأصوات : (تغنى بهدوء)

نقسم أن نخلصك من الجوع والعناء
ومن كل شيء قبيح مبتذل حقير
وسيبني شعبك باتحاده مدينة عظيمة
هى أروع وأجمل ما رآته عين انسان .

.. ستار ..

الفصل الرابع

(جزء من الفناء المحيط بكنيسة القديس برنابا البروتستانتية • والفناء ليس بادی الجمال لأنك فى وسط حى فقير يلفه الدخان ، ولكنه منسق ، وبالنسبة لما يحيط به يعتبر منظرا لطيفا • السور الحديدى المقام فى الخلف تكاد تغطيه نباتات ذهبية خضراء ، فيما علا وسطه ، حيث تقوم بوابة خشبية واسعة بعض الشئ تؤدى الى الفناء • خارج هذه البوابة فى الشارع يوجد أحد مصابيح الشوارع • هنا وهناك بضع شجيرات ، وفى الزاوية اليسرى قرب السور توجد أشجار مزهرة من اليلق والوزال •

الى اليمين سقيفة الكنيسة وجزء من حائطها الجنوبى فيه شباك طويل ضيق تشاهد فيه بالزجاج الملون صورتا القديسين بطرس وبولس • على مسافة من السقيفة توجد شجرة كمثرى مزهرة أيضا يعارض بياض زهورها صفرة الوزال الفاقعة وزرقة اليلق البنفسجية •

بقية الفناء مزروعة بالحشيش فيما عدا
الطرق المؤدية من البوابة الى مدخل الكنيسة .

الوقت أمسية دافئة مشمسة ، ليلة أول
الخماسين . والقسيس جالس على كرسى بحر
أمامه منضدة عليها كتب وأوراق . واضح أنه
يعد للصلاة التي ستقام في الكنيسة في اليوم
التالي .

يرتدى القسيس عباءة سميقة سوداء مبطنة
بقماش أحمر ، وهو يردد بيتا من ترنيمة
بصوت هادئ ويقيّد ملاحظات في ورقة أمامه
على رأسه طاوية مربعة .

القسيس : (يغنى لنفسه بصوت هادئ) :

وكما قمت من قبرك المخيف

فلنقم نحن ونقف لنكافح

قوى الشر والجنون

نرجوك يا الله .

(يخرج الشماس من السقيفة مقبلا نحو
القسيس . رأسه أصلع كالبيضة ووجهه
المصفر مسفوح يبدو فيه البؤس . وهو في
سن الستين وشكله يدل على ذلك . فوق
ملابسه العادية عباءة سوداء طويلة من قماش

خفيف بها قطع من القטיפسة القرمزية على
الكتفين) .

القسيس : (يخبر الشماس الذى بجواره) الترنيمة رقم
٦٢٥ ، يجب أن تكون هى ترنيمة الافتتاح يا صامويل .

صامويل : سيتم ادخالها ياسيدى .

القسيس : كما تقول ... سيتم ادخالها . هل تريد أن
تتحدث معى يا صامويل ؟

صامويل : معذرة ياسيدى فيما أريد أن أقوله :

القسيس : (مشجعاً) نعم نعم يا صامويل . تكلم .

صامويل : (فى غموض) أمر على وشك الحدوث ياسيدى ،
لا أحبه .

القسيس : : أوه ، وما ذلك يا سام ؟

صامويل : كان مستر فوستر هنا صباح اليوم يقلب زهور
الترجس التى أرسلت بمناسبة عيد الخمسين ، ووجد
شيئاً لا يحبه .

القسيس : نعم ؟

صامويل : ليس من حقى أن أعلق على أى شىء يجرى أمامى ،
أو أن أطلق كلمة ماكرة عن الأمور التى يفعلها أو يقولها
أو يفكر فيها الرعاة أو الرؤساء أو الشخصيات الكنسية

الأعلى . ولكن أحيانا يجيء الوقت الذى يتعين فيه على
الرجل المخلص أن يقول ما عنده .

القسيس : (متنهدا) وقد حان الوقت لقول شيء ما . . .
ماذا هو ياسام ؟

صامويل : (فى شبه همس) هذا الصباح ياسيدى ،
وشمس الربيع العزيزة تضىء خلال أثواب بطرس
الصفراء ، وأثواب بولس الأرجوانية ، وأنا أرتب الكتب
على المناضد ، من تظن أنه دخل متلصصا ؟ أنظر وتعجب
. . . فوستر ودوزارد . . . ليلقيا نظرة حول المكان ،
ولما كانا من أعضاء مجلس الكنيسة المختارين لم أستطع
أن أسألهما عن سبب تلصصهما فى هدوء الكنيسة فى
صباح يوم عادى من أيام الأسبوع .

القسيس : (بصبر) نعم ، ولكنك منذ فترة طويلة ذكرت
شيئا عن زهور النرجس .

صامويل : سأصل إليها رمحا ياسيدى .

القسيس : عال جدا . . . فلنسمع ما يتعلق بالنرجس .

صامويل : عندما رأيت المتعسسين وقد اقترب رأساهما
وهما يتهامسان ، قلت آها . . . لابد أن فى الأمر شيئا .

القسيس : هل ماتريد أن تخبرنى به مرتبط بدوزارد
وفوستر ، أم بالنرجس ؟

صامويل : انتظر حتى تسمع • سيكون دوزارد وفوستر
في المقدمة أحيانا ، والنرجس أحيانا أخرى • ماذا يمكن
أن يكون وراء هذين اللفظين ؟ قلت هذا لنفسى ودلفت
الى حيث كانا في دمدمة بترنيمة •

القسيس : دمدمة بترنيمة ؟ يسرنى أن أسمع هذا ، لأنه
يدهشنى أن أسمع أيا منهما يدمدم بترنيمة •

صامويل : أنا يا سيدى الذى كنت أدمدم بترنيمة ، لأننى
أحب فى الكنيسة أن تتمشى أفكارى مع العمل الذى
أؤديه ، ولعلك تفهم ما أقصد •

القسيس : (فى صبر نافذ) سيحل الليل قبل أن نصل
الى النرجس •

صامويل : انتظر حتى تسمع يا سيدى • هناك كنت أقترب
منهما رويدا رويدا واذا بفوستر يستدير نحوى
صائحا : « هل ستشترك فى تعليق الرموز البابوية
على كنيسة بروتستانتية ؟ »

القسيس : رموز بابوية ؟

صامويل : النرجس يا سيدى •

القسيس : النرجس ؟ انه بكل بساطة يشير الى الحياة
الجديدة التى يهبها الربيع • ونحن نربطه بطريقة
رمزية ؛ وببراعة تامة ، بقيام سيدنا المبارك • ثم أنه

رمز جميل : زهور النرجس التي تجيء قبل أن يجرؤ
طائر البجع على الظهور ، وتتلقى رياح شهر مارس
بجمالها . هذا قول شيكسبير 'ياسام' .

صامويل : (يرفع عينيه للسماء ويشير الى أعلى) أرفع
بكثير من طاقة مسكين مثلي يا سيدي . (ينحنى
على أذن القسيس) عندما رأى الصليب الذي صنعه
برايدون من زهور النرجس كاد أن يجن جنونه
(سكوت كما لو كان صامويل ينتظر أن يتكلم
القسيس ولكنه يظل صامتا) الله يعلم ماذا ستكون
النتيجة لو وضع على مائدة العشاء الرباني .
(سكتة قصيرة) هل سيوضع هناك حقا باسيدي؟
ألا يبدو أكثر براءة على المنضدة يا سيدي ؟

القسيس : (فى لهجة حاسمة) سأضعه بنفسى أمام منضدة
العشاء الرباني ، وإذا سأل مستر فوستر أو مستر
دوزارد بشيء آخر عنه فقل اننى أنا الذى وضعته ،
وتذكر أنك اذا قلت مستر فوستر ومستر دوزارد
فلتقل مستر برايدون أيضا (يناول بعض الأوراق
لصامويل) وزع هذه على المقاعد من فضلك
يا سام . انتهى ترتيب وضع الأزهار ، أليس
كذلك ؟

صامويل : نعم يا سيدي ؛ كلها ما عدا الصليب .
القسيس : سأتولى هذا بنفسى . شكرا يا سام .

(يخرج صامويل الى الكنيسة • ويستند
القسيس الى ظهر مقعده في يده كتاب وهو
يغنى بهلوء) •

القسيس : (يغنى) :

فلتنته المعجزات عندما تلين قلوبنا
أو نعبد الجلال في اسمك •
فليكن حب الانسان جماع شهرتنا
نرجوك يا الله •

(يتوقف لحظة وهو يفكر • ترى مسز برايدون
قادمة من ناحية السور • تدخل من البوابة
وتصل الى القسيس وشيلا في صحبتها ،
ولكنها تتراجع قليلا الى الخلف عندما تدخلان
الفناء • يقوم القسيس بسرعة من كرسيه
ليحيى مسز برايدون) •

القسيس : (بحرارة) ياعزيزتى مسز برايدون • أليس
الجو رائعا اليوم ؟ ان الجو يبشر بيوم خماسين
جميل •

مسز برايدون : سيكون جميلا اذا بشرت أشياء أخرى
مع الجو •

القسيس : علينا أن نتذرع بالصبر والأمل الفسيح
يا صديقتى • فمن احتكاك الحياة تولد حياة
جديدة •

هسز برايلون : وعالبا ما تموت الحياة الجديدة بدورها
في الاحتكاك . آه . عندما يجيء ولدى يا سيدي
قل الكلمة التي تحفظ عليه أمنه في البيت أو هنا .

القسيس : (يضع يده برفق على ذراعها) أتمنى أن أستطيع
يا صديقتي العزيزة ؛ أتمنى أن أستطيع .

هسز برايلون : ان عقله ، كعقل أبيه المسكين ، يكره كل
ما يراه زائفا . والأشياء الزائفة أشياء قوية ، تحتشد
وراء ظهورها العريضة مدافع تنطلق ، وسجون كبيرة
تخفي أعداءها ؛ ومشائق عالية تخرس الشباب
الذين يرفعون صوتهم في وجهها عند ما تسكت
الحجارة .

القسيس : دعى أولئك الذين يجدون ملجأ آمينا في رحبة
الأسقف أو ثوب النبيل أو رداء القاضي القرمزي
وفروه ، دعيهم يقولوا له : هذا الشيء لا ينبغي لك
أن تفعله . أما أنا فلا أفعل هذا لأن الحكمة قد
تصدر أحيانا حتى من أفواه الأطفال الرضع .

شيلا : اذا كان ما يواجهه بمثل هذه القوة فهو عاجز .
ولذا فلندع هذه القوة تمضي في طريق سطوتها
المظلم ، وليبق أيامون آمنا في عقر داره .

(الى اليسار في الطريق خارج السور يظهر
الفتش في زيه الكامل ، وقد حضر بالطبع
لرؤية القسيس . الى اليمين يظهر أيامون

ووراء الرجال والنساء الذين شوهوا في
المنظر السابقة . يتقابل هو والمفتش عند
البوابة . يتوقفان . يظهر المفتش انه سينتظر
ايامون حتى يمر فيدخل ايامون متجها نحو
القسيس . يدخل المفتش ولكنه يقف على بعد
بجانب السور . الرجال والنساء ينتشرون
على طول الطريق الخارجى يراقبون الذين فى
الداخل عبر السور . يقفون الآن منتصبى
القامات . لا تزال وجوههم شاحبة ولكنها
مشربة بالعزم وكل منهم يحمل فى صدره
شمسا ذات اشعة ذهبية . يدخل برينان
ويعبر الحشيش ثم ينتحى فيجلس على عتبة
السقيفة .

القسيس : (وهو يصافح ايامون) آه ؛ كم أنا مسرور
لمجيئك . آمل أن تبقى .

ايامون : (بسرعة) جئت ولكن لأذهب . هل وصلك
صليب النرجس ؟

القسيس : جاءت به أمك الينا سيعلق أمام أعظم عهد
كنيستنا . تعال وعلقه هناك بيدك الأمينتين
يا ايامون .

المفتش : يدان أمينتان مشغولتان بخرق القانون بالعنف
وتشويش الهدوء والنظام . وفى سبيل ماذا كل
ذلك ؟ فى سبيل مالا يساوى أكثر من أجر مسح

خذاء أو ثمن قطعة من زجاج لاصلاح شباك
مكسور !!

يرينان : (من مكانه على عتبة السفيفة) انه على حق
يا ايامون يا ولدى ؛ على حق ، النقود هي أساس
كل الشرور .

ايامون : (للمفتش) الشلن قليل عندك ، وأقل عند
كثيرين . أما بالنسبة لنا فهو نبراسنا الذى يرينا
أن نور الله قريب ، ويرينا الطريق الذى يجب أن
تسلكه أقدامنا . انه شعاع من الشمس على وجوهنا ،
والخطوة الأولى فى مسيرة تبلغ الألف ميل .

المفتش : (مهددا) أسجل هنا تحذيرا وحيدا هو أن
القائمين على السلطة سيعطون اليوم درسا يذكره
كثيرون الى الأبد . ولو أن بعض المجانين قد لا يبقون
على قيد الحياة ليحفظوه .

مسز برايدون : ابق هنا يا ولدى حيث السلامة شجرة
خضراء ذات طلع رحيم .

الرجال والنساء : (معا . . عبر السور) سيأتى معنا .

شميلا : ابق هنا حيث تمر ساعات الزمن خفافا ناعمة ؛
وتتساقط الأيام وديعة كتساقط الوريقات من
الزهرة ، ويتحول الشعر الأسود الى المشيب غير
ملحوظ .

الرجال والنساء : سيأتى معنا .

ايامون : (يلتفت ناحيتهم) أنا ذاهب معكم .

المفتش : (بعنف) قبل أن تذهب لتنفيذ كل ما استقر عليه ذهنك المشتعل أحذرك للمرة الأخيرة من أن اليوم ستنطلق الخيل السريعة فى جريها وتشرع السيوف من أعمادها .

القسيس : (للمفتش موبخا) أرجو انك أنت على الأقل لن تجد سببا لاطلاق خيلك .

المفتش : (بجفاء) سأؤدى واجبى يا سيدى ، ولعله يكون من الخير أن يقوم شخص نعرفه جميعا بواجبه فى ذلك الجانب من الحياة الذى شاء الله أن يسخره له .

القسيس : (غاضبا) أوه، اللعنة يا رجل، عندما تستشهد بأقوال الكنيسة لا تحرفها . ليست « الذى شاء الله أن يسخره له » بل « الذى سوف يشاء الله أن يسخره له » .

المفتش : (غاضبا مثله) اللعنة يا رجل . هل تعتقد أن ما يفعله هذا الشخص الآن هو جانب الحياة الذى شاء الله أن يسخره له ؟

القسيس : (بحرارة) أنا لا أملك السلطة ولا المعرفة لانكار هذا ؛ ولو أن لى من كليهما فوق ما لك يا سيدى !!

(يتأهب المفتش للرد بغضب ولكن شيلا تمسك
بذراعه) •

شيلا : أوه ، امح من ذهنك ما تريد أن تقوله من أشياء
أكثر غلظة ، وابذل جهدك في انقاذنا من مأساة
أخرى •

المفتش : (يزيح يد شيلا بخشونة ويتجه نحو البوابة
ثم يلتفت ليتكلم) تذكروا جميعا عندما تشرع
السيوف وتهجم الخيل فان القانون العطوف المتختم
بالتردد يغشى عليه فلا يرى ولا يسمع ولا يأبه لما
قد يقع •

هسز برايدون : (بغضب •• للمفتش) انظر الى هذا العالم
الكروى أيها الرجل بكل عجائبه التي صنعها الله
خفاقة فيه ، ماذا تكون أنت من بينها واقفا هنا أو
على صهوة جواد منطلق ؛ غير مجرد قطعة ذات شرائط
وشراريب !!

(يسرع المفتش خارجا ثم يقف وراء السور الى
اليمن • يتراجع الرجال والنساء فزعين ليهر
من امامهم) •

هسز برايدون : (لأيامون) سر في طريقك يا ولدي وليكن
لك النصر • مرحبا بقيد أنملة أخرى من فعل الخير
في هذا العالم •

القسيس : (يصسافحه) اذهب ، وليسدد الله خطاك
(يبتسم) ان نباح المفتش أعلى من عمق عضته .
ايامون : مؤقتا .. وداعا .

(يخرج ايامون مسرعا من البوابة ثم يقف وراء
السور الى اليسار ويلتفت ليلقى نظرة اخيرة
على المفتش) .

المفتش : تراجع يا ولدى عندما ترى الخيل هاجمة .

(ينصرف ناحية اليمين وينصرف ايامون ناحية
اليسار ووراء الرجال والنساء . سكتة
قصيرة) .

القسيس : (بسرعة .. ليمحو احساسا كئيبا) والآن
يا مسز برايدون أسرعى الى قاعة الصلاة . وأعدى
لنا فنجانا طيبا من الشاي .. أنا فى أشد الحاجة
الى فنجان .

(لشيلا) سترافقيننا ، أليس كذلك ؟

شيلا : (تقلق فجأة) أوه ، لا ؛ شكرا .. أنا .. أنا
لا ينبغي لى حتى أن أكون هنا . أنا كاثوليكية كما
تعلم .

القسيس : أعلم هذا . وأنا آخر من يطلب منك فعل شيء
لا ينبغي لك . ولكن كونى على يقين من أنه لا يوجد
قانون كنسى يمنع تناول الشاي الذى يصنعه

بروتستانتى • اذهبى فعاونى مسز برايدون •
سألحق بكما بعد لحظة •

(شيللا ومسز برايدون تخرجان من الناحية
الجنوبية للكنيسة) •

برينان : (والقسيس يجمع كتبه وأوراقه من على المنضدة)
هوه يا سيدى • أنت هناك يا سيدى ؟ لعل هذا
الاضطراب لن يمزق مجتمعنا كله ، أليس كذلك ؟

القسيس : أرجو ألا يحدث هذا •

برينان : (بضحكة مصطنعة) لا لا ، بالطبع لا • سيبقى
بنك أيرلندا قائما •• اه ؟ نعم بعضهم يتضور
لاقتحامه •• اه ؟ نعم نعم • أبواب حديدية ••
الأبواب الحديدية من الصعب فتحها •• اه ؟

القسيس : (منصرفا لتناول الشاى) أظن هذا •

برينان : نعم انها كذلك • يظن هذا •• مجرد ظن ••
يا لك من رجل مسئول !!

(يدخل الشمساس فينعنى على برينان) •

صامويل : (فى صوت مبجوح) ادخل وألق نظرة على
صليبنا الفخم •

برينان : صليب ؟ أى صليب ؟

صامويل : صليبي من زهور النرجس لعيد الخماسين ،
سيوضع أمام مائدة العشاء الرباني .

برينان : أعمال بابوية والله !!

(تسمع ضجة على بعد قليل يتبعها صوت
تساقط وابل من الحجارة)

برينان : ما هذا ؟ ما الذي يجري ؟

صامويل : (يذهب الى الورااء وينظر الى الشارع) جمع
من الناس يقذفون الحجارة .. يرمون بها رجلين
يهربان بحياتهما .

برينان : (بعصبية) فلندخل الى الكنيسة بسرعة لقد بدأ
الاضطراب فعلا .

(يدخلان الى الكنيسة ويقفل صامويل الباب .
تسمع ضجة صادرة عن زحام . يمر خارج
السور نساء ورجال بينهم ايذا وفينولا وديمينا
وعمال السكة الحديد والمتسكعون الذين
شاهدوا على الجسر . يحمل قائدهم علمسا
احمر . الكل يسرون في عزم ويغنون) .

قادة المظاهرة : (يغنون) :

اذا لم نستطع اطلاق بندقية فبوسعنا اطلاق حجر
حتى تتبخر حياة الأجرب مع الأنين .

الجميع : (كورس) :

فلتغرق فيما أقول ،

ولأقلها مرة أخرى ..

ولو أن الله هو خالق الأجرب القبيح فهو كذلك
بلا شك خالق الرجال !!

القادة : (يغنون) :

الشرف الوحيد الذى سيناله هو ريشة سوداء مغبرة
على رأس الحصان الذى يجره الى القبر .

الجميع : (كورس) :

فلتغرق فيما أقول

ولأقلها مرة أخرى :

فلتكن كلاب الأجرب هى العمال والكتاب والشمعة
والجرس !!

(يمرون ثم يختفون . بعد قليل يدخل
دو زارد وفوستر يجريان مخترقين البوابة
مندفعين الى سقيفة الكنيسة .

دو زارد رجل ضخم بدين احمر الوجه تتدلى
طيات من لحمه على ياقة سترته . راسه ضخم
أصلع مع خصلات شديدة السواد خلف أذنيه
طرف صغير منها ممشط الى اعلى فوق جبينه .

اما فوستر فضئيل ضامر يكمن العدوان على
الدوام في وجهه السقيم متحفز للانطلاق عند
اقل فرصة . خداه وشفتاه حليقان ولكن
اطرافا من لحيته صفراء تبرز متعديّة من تحت
ذقنه . صوته كالصراخ وعندما يقوى بسبب
الغضب يرتفع الى عويل كالصغير . كلا الرجلين
يلبس الزى الرسمي لرؤساء عمال السكة
الحديد . قماش ازرق بازرار فضية وشريط
فضي على قبعة دوزارد المدببة الطرف واساور
اكمامه ، وشريط ذهبي بالنسبة لفوستر .
سترة كل منهما مزودة بالكامل . يخلعان
قبعتيهما ويمسحان العرق من جبينيهما . يدفع
دوزارد الباب .

دوزارد : نحن في امان هنا في الفناء . فناء الكنيسة
مقدس . اوغاد ؛ حشرات سائبة . . . بابويون
كلهم !!

فوستر : (مغلولا) واحد قادتهم شماس مختار ، وذلك
القسيس الواقف بجانبه . . غارقون في البابوية . .
علامة الصليب . . متجهون الى الشرق يرددون
الآيات ويغنون الترانيم . . والله انها فضيحة
علنية !!

دوزارد : أصابت بعض حجارتهم أذني . . ما كان ينبغي
ان نلبس الزى الرسمي . . كشفنا . . عرفت أننا
وقعنا عندما قالوا عنا : « جربانين » .

فوستر : هم « الجربانون » .. هباب .. أولاد حرام ..
حشرات . اسمع .. أنا مستعد لأن البس زى
الرسمى فى الفاتيكان (يفك أزرار سترته ويرى أنه
يلبس تحتها حزاما برتقاليا فاقع اللون بأطراف
زرقاء) هذا حزامى لكل من يشاء أن يراه . كان
يجب أن تثبت معى يا رجل كتيبات أبطال دالى
براي !!

دوزارد : (صائحا وهو يطرق الباب) انت هناك .. هناك
فى الداخل .. أخرج .. افتح الباب المقصوف
وساعد رجلا على وشك الموت ..

(يفتح باب الكنيسة ويخرج منه القسيس
يتبعه الشماس وبرينان)

القسيس : ما هى المصيبة ؟ ما الذى حدث ؟
دوزارد : بلطجية البابا قذفونا بالأحجار بأقصى شدة .
الرجال الأمناء الأفاضل المستقيمون المخلصون
للقانون والدستور قد رجموا اليوم بالأحجار البابوية
.. آه يا راسى المسكين .

فوستر : ان يوم سانت بارتلوميو يوشك فجره أن يعود
للظهور ، هذا ما أقوله لكم ؛ وستغطى جثث
البروتستانت المشوهة كل الشوارع .

القسيس : لا يمكن أن تكون اصابتك بالغة اذا كنت تشكو
بهذه الضخامة . .

فوستر : قف فى صف العصبجية بالتقليل من شأن
اصاباتنا .. افعل هذا .. نعم افعله . (يلاحظ
برينان الذى وصل الى البوابة ويوشك أن يخرج)
أوه ، أنت .. ألا تريد البقاء لتثبت كمال العقيدة
البروتستانتية ؟

برينان : (فى شىء من السخرية) بلى ؛ أريد بل أرحب
لولا أن على أن أذهب لأننى فى مثل هذه الساعة من
كل يوم من عادتى أن أكون منهما فى قراءة سورة
من كتاب الله حتى لا أتعلق بالشئون الدنيوية تعلقا
شديدا .

(يخرج)

فوستر : (بعنف) بروتستانتى « خرع » !! (للقسيس)
اسمع ، أقول لك ان نيران سمثفيلد سوف تشتعل
حول أجساد البروتستانت مرة أخرى وسوف ترفع
الأنوار الملونة فى نوافذ الفاتيكان حالا .

دوژارد : وسنكون نحن أول من تطعمه النيران .

القسيس : (ضاحكا باحتقار) كلام فارغ . أوه ، كلام
فارغ .

فوستر : (وهو يصرخ تقريبا) انه ليس كلاما فارغا
يا رجل ، كل جزويتى يلبس السواد قد خرج يسير
مقهقهها يضم قبضتيه لينقض على كل رجل مثلى هنا ،

ومثل ادى دوزارد هناك ؛ ليقيد منا الرأس واليد
والقدم بالأغلال ، لنوضع فى آلات التعذيب
الجهنمية ، ثم ينتهوا بنا الى المحرقة ليتلهاوا بنا على
طريقة الرومان . لقد خرج الشباب المخلصون
ليخوضوا معركة أخرى مع رجال الملك بولى !!

القسيس : (متسليا) طيب . فلينه الشباب المخلصون
ورجال الملك بولى المعركة فيما بينهم . ان مشاغلي
الكثيرة تمنعنى عن ان أنضم الى أى الجبانين .
وداعا .

فوستر : (يمسك بذراعه وهو ذاهب .. مشاكسا) انك
لن تفلت ذاهبا بمثل هذه السهولة الآن بضميرك
المثقل يا رجل . هناك أشياء يجب فعلها ، وأشياء
يجب عدم فعلها فى كنيستك هناك ... نعم ...
نعم .

القسيس : (فى هدوء) أحقا ؟
فوستر : (غاضبا .. لدوزارد) أوه .. تكلم .. قل
كلمة يا رجل ولا تترك الأمر كله لى .

دوزارد : أولا ؛ يا سيدى ، نريدك أن تطرد برايدون من
الشماسة ومن الكنيسة .

القسيس : أوه ، أحقا ؟

فوستر : (يكاد يصرخ) انها ليست « أوه ؛ حقا » .
أجب على السؤال .. بوضوح .. نعم أم لا .

القسيس : (ببرود) أيها السادة • مستر برايدون
سيبقى في الشمامسة حتى ينتخب أفراد الأبرشية
شخصا غيره • أما بالنسبة للكنيسة فقد رأى الله
من المناسب أن يجعله من أتباع المسيح ، وليس لي ؛
ولا حتى لكم أيها السادة ، أن نقول ان الله
قد أخطأ •

دوزارد : (مستهزئا) ومتى حدثت هذه المعجزة ؟

القسيس : عند تعميده • وهذا مالا بد أنكم تعلمونه •

فوستر : بابوية • • بابوية • • لاشيء غير البابوية • •
المكان موبوء بها !!

(يظهر الشماس عند باب السقيفة و صليب
الترجس في يده وهو على الطراز الكلتى ،
المحور مصنوع من الزهور والدائرة من الأوراق
الخضراء الزاهية • الشماس يريه لدوزارد
من وراء ظهر القسيس فيتجه اليه دوزارد
وياخذه منه • يعود الشماس الى الكنيسة)

القسيس : والآن أرجوك أن تطلق ذراعى يا مستر
فوستر •

(يسمع على البعد صوت نفير معلنا الهجوم •
فوستر يطلق ذراع القسيس • يصسفون
جميعا) •

فوستر : (مسرورا) ها ها • • ها هو النفير يعلن الهجوم ،

وسرعان ما يطأ رجال الملك وخيل الملك المتظاهرين
تحت أقدامهم . القانون والنظام فى الدولة ،
والقانون والنظام فى الكنيسة ، يجب أن تنالهما ؛
ونحن نقاتل هنا كما يقاتلون هم هناك . . من أجل
التاج والحرية المدنية والدينية .

• يسمع صوت الخيل الرامحة تتبعه عدة زخات
من طلقات البنادق • يصفى الجميع لحظات •

فوستر : (مبهتجا) أتسمع هذا الآن ؟ ان برينان تابعك
سينقض هنا فى الحال على الكنيسة لتخبئه .

القسيس : فليحل صليب المسيح بينه وبين كل أذى .

دوزارد : (يتراقص أمام القسيس حاملا الصليب وهو فى
ذروة الفرحة) الصليب . . رمز بابوى !! انظر
أتراه . . رمز بابوى يرفع فى وجه الشعب
البروتستانتى !!

(يصرخ) يا للهول !!

فوستر : (بغل) لن أقيمه . . لا . . لن أقيمه . انظر ،
ان السخط الذى أثار القديس لوثر يثيرنى !! هيا . .
اعطنى هذا • (يخطف صليب الزهور من دوزارد
ويقذف به على الأرض ويرقص عليه) الانجيل فوق
التاج !! الاثنان والنصف . . البرتقالى والأزرق . .
ورموز البابوية تحت أقدامنا البروتستانتية !!

دوزارد : (بوحشية) الطبول ؛ الطبول ؛ الطبول
البروتستانتية .

(في اثناء رقص فوستر ودوزارد ونطقهما
بالعبارات الأخيرة يكون الرجال والنساء قد
جروا مذعورين في الطريق وراء السور .
القادمون من اليسار يستديرون ثم يتابعون
الجرى نحو اليسار مرة أخرى يسبق بعضهم
بعضاً . يرون فجأة الرجال والنساء الذين
يجرون خلف السور ويندفعون في الحال نحو
الفناء ويكادون يوقعون القسيس)

فوستر : (وهم يندفعون .. للقسيس) ابتعد عن طريقهم
يا رجل .. ابتعد .

(بعد سكتة تقل ايذا وهي تجرى من خلال
البوابة الى الحديقة نحو القسيس)

ايذا : (متوسلة) أوه ، سيدى ، أرجوك دعنى التجئ الى
الكنيسة حتى ينتهى هذا القتال .. فلا أمان فى
أى مكان والجنود يطلقون بنادقهم والشرطة يعملون
هراواتهم بجنون .

القسيس : (يطمئنها) اطمئنى واهدئى .. لن يمسوا
امراًة . فهم ما زالوا رجالاً مهما يكن احتياجهم فى
هذه اللحظة .

ايذا : لك الجنة على بساطتك !! كان لابد أن تراهم وهم

يضربون الرجال والنساء والأطفال . وصديقتى أنا
ديمبنا فى المستشفى وقد شدت على وجهها الأربطة
كما يشد الحذاء بالرباط . كل هذا بسبب السير
وراء هذا الأحق المجنون برايدون !

القسيس : ادخلى اذن (للشماس الذى ظهر فى المدخل)
اسهر على سلامتها

(تدخل ايدا والشماس الى الكنيسة . تقبل
فينولا ببطء على الطريق وراء السور وهى
تتعلق بقضبانها اثناء سيرها خطوة خطوة .
عندما تصل الى البوابة تسقط وتلتفت بوجه
مخطوف مشوه الى الواقفين فى الفناء .)

فينولا : (متأللة) بالله عليكم ليخبرنى أحدكم هل نيافة
« لا أعرف ماذا كلينتون » هنا ، أم على أن أزحف
مسافة طويلة أخرى ؟

القسيس : (يسرع نحوها) انه هنا ؛ أنا هو يا امرأتى
الطيبة . ما الذى تريدينه منى ؟

فينولا : معى رسالة لك من ايامون برايدون .

القسيس : (بلهفة) نعم نعم . أين هو ؟

فينولا : لقد ذهب .

القسيس : ذهب ؟ الى أين ؟

فينولا : ذهب ليلقى الله ، على ما أرجو .

(سكوت طويل نوعا)

القسيس : (بصوت منخفض) فليرقد فى سلام • وما هى الرسالة ؟

فينولا : نعم لقد همس بها فى أذنى عند ما خرجت روحه من ثقب رصاصة فى صدره • • الجنود ، الجنود • قال : ان اليوم ما هو الا عمل يوم انتهى وسيبدأ مرة أخرى غدا • عليك أن ترعى المرأة العجوز • وهو يريد أن يرقد فى الكنيسة الليلة يا سيدى • لقد أصبت فى خاصرتى ؛ لحقتنى رجل حصان مندفع فانكفأت على الأرض • • لقد أرسل اليك وداعا عاجلا طويلا • أوه بحق المسيح أعطونى شربة ماء • (يجرى الشماس ليحضر الماء) ومع هذا فقد ثبتنا ثباتا رائعا • (يعود الشماس بالماء فتشرب) الآن يمكننى أن أنال بعض الراحة آخر الأمر •

(تمدد جسدها على الأرض)

القسيس : أين تركته ؟ أين يرقد الآن ؟

(تظل راقدة دون اجابة • يلتقط الصليب المهشم فى اسى ويظل صامتا لحظات وراسه منعكس حزنا)

أوه يا ايامون ، يا ايامون يا صديقى العزيز ؛
اللهم افتح عينى لأراك ؛ ولو كناظر من خلال زجاج
معتم ؛ فى كل هذه المصيبة وهذا الأسى •

(يسدل الستار دلالة على مرور بضع ساعات •
عندما يرفع مرة اخرى يكون المساء قد حل •

المصباح الذى على باب السقيفة مضاء ، وكذلك
الكنيسة ، الضوء يشع من ثوب القديس
بطرس الأصفر وثوب القديس بولس الأرجوانى
خلال الشباك الذى فى حائط الكنيسة . ارغن
الكنيسة يعزف لنا جنازيا فى غاية الهدوء .
المصباح الذى فى الطريق خارج السور لم
يضاء بعد . تبدو اشباح غامضة لرجال ونساء
مصطفين على طول السور . مسز برايدون
واقفة فى الفناء قرب البوابة . فوستر
ودوزارد واقفان على سلالم السقيفة وامامهما
بقليل يقف القسيس يوليها ظهره وقد ارتدى
الآن حلة كهنوتية بيضاء فوق ردائه وقميصه
حول رقبته وعلى كتفيه وشاح رجال الدين
القرمزي . شيلا تعمل باقة من الورد القرمزي
فى يدها وتقف تحت شجرة الكمثرى . خلف
الشجرة بقليل يقف المفتش بمفرده . يظهر
مشعل المصابيح فى الطريق حاملا مشعله
المنتهى فى طرفه بزهرة صغيرة من النار ،
يشعل مصباح الطريق ثم يقف لينظر عبر
السور) .

مشعل المصابيح : ماذا هناك ؟ ماذا جرى ؟ ما الذى يجرى
هنا ؟ ما الذى يفعله كل هؤلاء الآن ؟

الرجل الأول : يحملون جثمان برايدون الى الكنيسة .

مشعل المصابيح : أوه ، أهذا كل ما هنالك ؟ ظننت أن
شيئا ما يجرى هنا .

الرجل الأول : لقد مات من أجلنا .

مشعل المصابيح : اسمعوا هذا الآن !! وكلهم يلبسون
أفخر ثيابهم ليرحبوا بعودته الى البيت ، أم ماذا ؟
أوه ، لا بد للدنيا أن تسير ، ولذا فعلى أن أمضى ..
وداعا .

(يخرج)

دوزارد : (مخاطبا ظهر القسيس) لآخر مرة يا سيدى
أقول لك ان نصف خدام الكنيسة يعارضون
احضاره هنا . انهم لا يريدون أن يكون لكنيستنا
شأن بهذا الاضطراب البشع .

القسيس : (دون أن يتحرك وهو ينظر نحو البوابة) كل
أمور الحياة ؛ الشر والخير ، النظام والفوضى ؛
مشتبكة بحياة الكنيسة البروتستانتية على هذه
الأرض . نحن نكرم أخانا لا لما عساه قد عمله من
خطايا ، بل للحق الذى كان دائما أمام وجهه . نحن
لا نجرؤ على أن نجحده مغفرة الله ورحمته الأبدية
لأنه لم يرفع علما على أحد التقاليد التى اصطنعها
البشر .

فوستر : (بوحشية) أوه ، اسمع ، أنا لست ممن يجلسون
ليصغوا الى سيل متساقط من الكلمات .. أتريد
أم لا تريد أن تنزل على رأينا ؟

(يسمع على البعد مزمار قرينة يعزف لحن
ازهار الغابة . يتصلب جسم مسز برايدون
وتطأه شيلا راسها أكثر على صدرها)

القسيس : انه لشيء تافه أن ترهقنى ، يبدو أنك ترهق
الهى كذلك • تنح عنى وامض فى طريق جهلك
الأفبر ، ودعنى أستقبل ذلك الذى سكن اضطرابه
فى بحر عميق من النوم والذى يقبل الآن كحياء
شيلواه تجرى منسابة تتغنى فى أسى بالسلام •

(اثناء كلامه يتوقف العويل وبعد لحظة تظهر
خشبة نعش عليها جثمان ايامون المسجى عند
البوابة ، وتعمل نحو الكنيسة فيتقدم
القسيس لمقابلتها)

القسيس : (مترنما) يا الهى ؛ لقد كنت ملاذنا من جيل
الى جيل • وان يوما واحدا عندك بألف سنة مما
نعد • (يغنى) :

ان كل صراع اخينا المرير
خاضه من أجل حياة أكثر رخاء •
لهذا وأكثر منه • • أكرم مشواه •
يا يسوع يا ابن مريم استجب •
عندما يحمله تسارون فى زورقه الى الشاطئ
ليرى أرضا لم يرها أحد من قبل
كن أنت رائده الى الراحة الأبدية •
يا يسوع يا ابن مريم استجب •

(يحمل النعش الى داخل الكنيسة ، وعند مروره
تضع شيلا باقة الورد القرمزى على صدر
الجثمان) .

شيلا : ايامون . . ايامون . . يا حبيبى المسكين .

(يسبق القسيس النعش وتمشى مسر برايدون
بجانبه الى الكنيسة على حين يبقى الجميع فى
مكانهم . سكوت قصير)

دووارد : من الخير لنا أن نذهب . هذا الرجل رومانى
خبيث . راقب الرعاع الذين فى الخارج .

فوستر : (باحتقار) لم يبق فيهم قدرة على القتال الآن .
لن أغفر لذلك المفتش لأنه رفض أن يعزز طلبنا .

(يخرجان من البوابة ويختفيان فى الطريق
خارج السور بينما يخرج الدين كانوا يحملون
النعش من الكنيسة) .

الرجل الثانى : هذه هى نهايته ، نهاية النهاية . . كتلة
من الظلام مسجاة فى كنيسة معتمة .

الرجل الثالث : كانت ميتة نبيلة قوية .

المفتش : (من مكانه قرب الشجرة) لم يكن غاية فى النبيل
أن يموت من أجل شلن واحد .

شيلا : لعله رأى الشلن فى شكل عالم جديد .

(يخرج الرجل الثانى والثالث من البوابة
ويختلطان بالواقفين هناك • يقترب المفتش من
شيلا)

المفتش : أليس ينبغى عليك أن تبتعدى عن هذه المحزنة
يا شيلا ؟ صدقيني ؛ لقد بذلت كل جهدى • ظننت
أن الهجوم سيجعلهم يفرون ولكنهم لم يتحركوا ،
لم يتحركوا حتى أطلق الجنود النار وأصيب هو •
صدقيني لقد بذلت كل جهدى • حاولت أن أقحم
حصانى بينهم وبينه •

شيلا : (بهدوء) أصدقك يا حضرة المفتش فنجلاس •

المفتش : (يمسك ذراعها برفق) بل تناديننى « توم »
يا عزيزتى • تعالى يا شيلا تعالى ، ولننس هذه
الأمور ونحن نسير على مهل نحو البيت •

شيلا : (بحشجة فى صوتها) أوه ؛ الآن لا • أوه •
الليلة لا • امض فى طريقك ودعنى أمضى فى طريقى
وحيدة الليلة •

المفتش : (يأخذ يدها فى يده) شيلا ، شيلا اقتصدى
فى تفكيرك فى الموت ودعى الحياة تبتسم أمامك •
اقتصدى فى تفكيرك فى موت انسان أمضى حياته
فى غاية الطيش وفقدتها كلها بغاية السرعة • ثروة
من الحياة ساء مصدرها وساء مستقرها الى الأبد •

شيلا : (تسحب يدها من يده) أوه يا توم ، أرجو أن تكون على حق . أنت على حق . لا بد أنك على حق .

(وصلا الى البوابة ووقفا هناك معا . الرجال والنساء على طول السور يرقبانها ولو انهم يتظاهرون بعدم ملاحظتهما) .

المفتش : سوف ترين ذلك بوضوح أكثر يا عزيزتي عندما تقيم عجلة الزمن الدوارة في الفضاء منظرا جديدا لصيف مجيد ، ويعلو صوت الأمل في الربيع الوليد فيخمد صوت الموتى الذين لا يتسامحون .

شيلا : (مفكرة) قال ان الورود الحمراء لم تخلق لي قط . هذا ما قاله قبل أن أتركه آخر مرة . ان الوحدة العزيزة الليلة لا بد أن تعينني على فهم هذا؛ لأن هذا هو ما قاله لي بالضبط . (فجأة وبغضب) أوه أنت يا مظلم العقل يا قاتل خيرة الرجال !!

(تجرى بعنف مبتعدة عنه وتخرج قاركة اياه مع الرجال والنساء الذين يقفون في تراخ وكانما لا يلحظون شيئا)

المفتش : (بعد سكوت) ماذا تفعلون هنا ؟ الى بيوتكم الى بيوتكم أيها الفئران النحيلة ، الى جحوركم وخرائبكم . أتظنون أن أمثالكم وحدهم هم الذين يزينهم شرف الهم القاتم ؟ (الرجال والنساء

يتفرقون ببطء وعناد حتى لا يبقى غير برينان حاملا
أرغفه على ظهره متكئا بجانب البوابة .. الى
برينان (هل سمعت ما قلته ؟ أنت أصم ؟
أم ماذا ؟

برينان : (بهدوء) أنا بروتستانتي ، وأصلي في هذه
الكنيسة .

المفتش : واحد من المختارين !! هكذا كان برايدون ،
طبيب ؛ ابتعد عن التجمعات غير القانونية .. ان
الجنود لا ينتظرون ليسألوك عن الطريقة التي تتعبد
بها قبل أن يرفعوا أيديهم ليضربوا .

(يخرج الى الطريق ببطء . بعد لحظات يخرج
القسيس ومسز برايدون من الكنيسة . تضع
شالا حول كتفها)

القسيس : هاك . هذا أحسن . ان زوجتي تصر على أن
تقضى الليلة معنا ولذا فلا مفر لك من هذا .

مسز برايدون : انها رحيمة القلب (تقف لتنظر الى شجرة
الكثري) تلك هي الشجرة التي كان يحبها ، عارية
أو مكلفة بالزهر . كنفسه تماما ، لأن الأشياء
الجميلة كانت جزءا أصيلا من طبيعته : وبعدها يجيء
التوت ، التوت الأحمر ؛ حمرة الدم الذي سأل
اليوم من جسده الأبيض . (فجأة .. تلتفت فتواجه
الكنيسة) هل يطفئ سام الأنوار ؟

القسيس : نعم ، قبل أن يذهب الى منزله لفضاء الليل .
مسز برايدون : أليس من المحزن أن يرقد وحيدا في
الظلام العبوس طول الليل !!

القسيس : (يعود للسقيفة وينادى) سام ؛ اترك الأنوار
مضاءة الليلة .

(تضاء الكنيسة مرة أخرى بعد ان تكون قد
اظلمت)

انه ليس وحيدا بالقدر الذى نظنينه يا صديقتي
العزيزة ، بل حتى مستبشر بقاء الله السعيد .
تعالى .

(يخرجان على مهل من البوابة ويمضيان .
يقبل الشماس من الكنيسة ويقفل الباب
الخارجي ليغلقه اثناء الليل . برينان ينزل
الى الفناء)

صامويل : (متشكيا) النور يضاء طول الليل . . مزيد
من الأعيبه الرومانية .

برينان : آه . . أنت هناك . . انتظر لحظة .

صامويل : ماذا تريد بحق جهنم ؟

برينان : مجرد أن أغنى أغنية صغيرة كان يحبها ، علامة
على الاحترام والمحبة وكختام لوداع أخير .

صامويل : (يقفل الباب بالقفل) وماذا تظننى ؟ انت
وأغنيتك ووداعك الأخير .

برينان : (يعطيه قرشا) لبضع لحظات قصصار . واخل
الباب مفتوحا ليتسنى للصوت أن يصل اليه فى
الداخل . (يفتح الشماس الباب) هو ذاك . انك
رجل عطوف حقا .

(يقف برينان ووجهه الى داخل السقيفة ،
ويتكى الشماس على حائطها . برينان ينزل
ارغنه ثم يدير بعض انغام الفتاحية وبعدها
يغنى فى رقة) :

شال وقور أسود يخفى جسدها كله
مسته الشمس ورذاذ البحر المالح ،
ولكن فى أطواء الظلام يدا رشيقة بارعة الجمال
تعمل الى باقة من الورود الحمراء .
(تنقطع بقية الأغنية بانتهاء المسرحية)

سسستار

12
W

Bibliotheca Alexandrina



0222488

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

الضمن ٢٥ قرشاً